العدمية الأكاديمية فى جامعات مصر

المال الأسود يهدد نزاهة انتخابات ٢٠٢٥ 09

أزمة «الإيجار القديم» تهدد بفوضى عقارية 10

جيش الاحتلال ومتعاونون ينهبون مساعدات غزة

تعرضت المساعدات الإنسانية المحدودة للغاية التى دخلت غزة للنهب، السبت (٢٤ مايو)، بينما ألقت حملة الإغاثة الإماراتية باللوم على الجيش الإسرائيلى لإصراره على استخدام طرقات غير آمنة لشاحنات التوصيل.

وأظهرت مقاطع فيديو تم تحديد موقعها الجغرافى حشودا بالمئات تهرع نحو إحدى الشاحنات، وأشخاصا يحملون أكياسا من الدقيق.

وأصدرت عملية «الفارس الشهم ٣» الإماراتية للمساعدات بيانا قالت فيه إن الكثير من المساعدات التى أرسلتها إلى غزة تم نهبها فى مناطق خاضعة للسيطرة الإسرائيلية. وأضافت الحملة أن السلطات الإسرائيلية سمحت بدخول ٢٤ شاحنة، لكن شاحنة واحدة فقط وصلت إلى المستودع بأمان، صباح السبت.

وأضافت العملية الإماراتية: «يرجع ذلك إلى إصرار الجيش الإسرائيلى على فرض طرق عبور غير آمنة، حيث تعرضت الشاحنات للنهب والسرقة داخل منطقة «حمراء» خاضعة للسيطرة الإسرائيلية، مما أدى إلى فقدان معظم حمولتها»

وأفادت العملية الإماراتية بأن دخول المساعدات فى الأيام الأخيرة – لأول مرة منذ ١١ أسبوعا– أعطى بصيصا من الأمل، لكن لم يتم السماح بالدخول إلا لربع الشاحنات، البالغ عددها ١٠٣ شاحنات التى تحمل الدقيق والنفط والغاز وغيرها من الإمدادات الأساسية للمخابز، عبر معبر كرم أبو سالم بين إسرائيل وقطاع غزة.

ودعت العملية الإماراتية المجتمع الدولى إلى التدخل لضمان وجود ممرات آمنة ودائمة لضمان إيصال المساعدات بشكل آمن وسريع.

وقالت جمعية الخبازين فى غزة لشبكة CNN، السبت، إنه يجب توزيع الدقيق مباشرة على سكان غزة قبل إرساله إلى المخابز.

وأكد رئيس الجمعية، عبدالناصر العجرمي، أن ذلك من شأنه أن يخفف الضغط على المخابز ويمنع اقتحامها.

وقال العجرمى إن ٤ مخابز فقط من أصل ٢٥ مخبزا متعاقدا مع برنامج الغذاء العالمى تعمل، وجميعها فى دير البلح وسط غزة. وأضاف أن الجيش الإسرائيلى يمنع تشغيل عمل العديد من المخابز فيما أسماها "المناطق الحمراء"، وأنه لا يوجد أى مخابز تعمل فى خان يونس، حيث وقعت معظم عمليات النهب.

وكان مخبز فى مخيم النصيرات للاجئين وسط غزة فتح أبوابه ليوم واحد فقط قبل إغلاقه، بعد اقتحامه من قبل المدنيين الجائعين.

وقالت مصادر متعددة لعدة صحف غربية، إن "أفرادا من قوات الأمن الإسرائيلية يقومون بإبلاغ مستوطنين وناشطين يمينيين، عن مواقع شاحنات المساعدات المتجهة إلى غزة، مما يمكّنهم من منع وتخريب تلك القوافل".

وذكرت الجارديان البريطانية أنها اطلعت على رسائل من بعض مجموعات التواصل عبر الإنترنت، تدعم الادعاء القائل بحدوث تواطؤ من بعض أفراد قوات الأمن، مشيرة إلى أن "روايات عدد من الشهود ونشطاء حقوق الإنسان تعزز ذلك الادعاء".

ويرى مسؤولون أميركيون أيضا أن إسرائيل لم تقدم أى دليل يدعم المزاعم القائلة بأن حماس تقوم بتحويل المساعدات، وفق الصحيفة البريطانية.

ودعت وزارة الخارجية الأميركية، إسرائيل لمنع وقوع المزيد من الهجمات على قوافل المساعدات المتجهة إلى غزة، قائلة إن "الهجمات على القوافل غير مقبولة، وعلى إسرائيل أن تتخذ إجراءات لحمايتها".

وقالت صحيفة "هآرتس" العبرية إن حلفاء رئيس الوزراء الصهيوني، بنيامين نتنياهو، يريدون استخدام المساعدات الإنسانية التى تصل إلى غزة كقاعدة انطلاق لاحتلال القطاع الفلسطينى وضمه.

وأظهرت مقاطع فيديو، الأسبوع الماضي، قيام مستوطنين إسرائيليين بمنع وتخريب قوافل مساعدات غرب الخليل فى الضفة الغربية، بينما ألقى نشطاء صناديق الإمدادات على الأرض.

وأظهرت صور من مكان الحادث أكواما من طرود المساعدات، وكميات من الأرز والدقيق ملقاة فى الطريق. وفى وقت لاحق، تم تداول صور على وسائل التواصل الاجتماعي تظهر الشاحنات مشتعلة.

وقالت تويتو: "لم تقم فرقة تساف ٩ بإحراق الشاحنات... لم يكن هذا عملنا، هناك مجموعات أخرى مسؤولة عن الهجوم والحرق المتعمد".

وأضافت: "هدفنا تسليط الضوء على أن إطعام عدوك، فى هذه الحالة حماس على وجه التحديد، أمر غير أخلاقي".

وادعت أن "٨٠٪ من السكان يتفقون مع موقفنا، لأن حماس تقوم بإعادة بيع هذه المساعدات للمدنيين، بدلا من توزيعها مجانا، ولذلك سنواصل منع هذه المساعدات الإنسانية، حتى يتم إثبات وصولها إلى المدنيين". وأكدت شبكة "سى إن إن" أن إسرائيليين غاضبين يعملون على عرقلة إمدادات المواد الغذائية المتجهة إلى قطاع غزة عبر معبر كرم أبو سالم وسط تساهل ضباط الحدود الإسرائيليين معهم.

ونقلت الصحيفة البريطانية، عن سائقى شاحنات فلسطينيين يقومون بتسليم المساعدات إلى غزة، قولهم إنهم "شاهدوا مناظر همجية بعد أن تعرضت مركباتهم للهجوم"، مؤكدين أن الجنود الإسرائيليين الذين كانوا يرافقون القافلة "لم يفعلوا شيئًا للتدخل".

وقال يزيد الزعبى (٢٦ عاما)، وهو سائق شاحنة فلسطينى تعرض لهجوم من قبل المتظاهرين الأسبوع الماضي، إن "هناك تعاونا كاملا بين المستوطنين والجيش". وتابع "نحن مصدومون ومتفاجئون بأن أفرادا من الجيش الإسرائيلى لم يقدموا لنا أى نوع من الحماية، رغم أنهم كانوا حاضرين ويشاهدون ما يحدث، وكأن الجيش فى خدمة المستوطنين".

والأسبوع الماضي، رفض جنديان إسرائيليان أمرا بتفريق المتظاهرين الذين اعترض وا شاحنات المساعدات فى منطقة مخاش، ليتم الحكم على أحدهما بالسجن لمدة ٢٠ يوما، حسبما ذكرت هيئة الإذاعة الوطنية الإسرائيلية.

ووفق صحيفة "الغارديان"، كثيرا ما يقوم مستوطنون وعدد من نشطاء اليمين المتطرف بإخطار زملائهم بالمواعيد والأماكن التى تتجه فيها شاحنات المساعدات نحو غزة، مشيرين إلى أنهم "يتلقون هذه المعلومات من الشرطة والجيش الإسرائيليين".

وفى إحدى الرسائل التى قالت الصحيفة إنها اطلعت عليها "نبّه نشطاء اليمين المتطرف زملاءهم بأنهم سيتلقون معلومات أولية بشأن التخطيط لنقل الشاحنات، من جنود وشرطة المعابر الحدودية".

وفى رسالة أخرى بمجموعة واتساب لمستوطنين، كتب أحد الأعضاء، "تلقيت معلومات من ضابط فى الجيش الإسرائيلى أن شاحنات ستصل من مستوطنة عوفرا إلى قرية بيتين الفلسطينية فى محافظة رام الله". وفى مقابل ذلك، تقول تويتو إن "معظم المعلومات التى تلقوها جاءت من مدنيين، إذ يقوم كثير من الإسرائيليين بالتبليغ عن مرور قوافل المساعدات".

ونقلت الصحيفة البريطانية عن سابير سلوزكر عمران، محامية حقوق الإنسان الإسرائيلية التى زارت حاجز ترقوميا، الأسبوع الماضي، لتوثيق تصرفات المستوطنين ولمنع نهب المساعدات، قولها إنها "تعرضت للضرب والصفع على يد أحد المستوطنين، بينما لم تفعل قوات الأمن الإسرائيلية شيئا لوقف النهب والتعدى".

وقالت سابير "كان لدى المستوطنين بنادق وسكاكين، وطلبت من جنود الجيش الإسرائيلى إيقافهم لأن ما يفعلونه غير قانوني، لكنهم طلبوا منى المغادرة". وأضافت "حينما حاولت منع تعرض شاحنة مساعدات للتخريب، صفعنى أحد المستوطنين، وقمت بتصويره وذهبت إلى الشرطة وأخبرتهم أننى بحاجة إلى مساعدتهم، لأننى أريد توجيه اتهامات ضده، فطلبوا من مرة أخرى، المغادرة".

متابعة: هيباتيا موسى

جريدة أسبوعية - تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

مجدى شندى

الموقع الإلكترونى

www.elmashhad.online

العدد 339 -السنة الرابعة عشرة-

الأحد 25 مايو 2025 م

الموافق 27 ذو القعدة 1446 هـ

12 صفحة - الثمن : 5 جنيهات

المشهد

لا سقف للحرية

سنحرر شاعرًا بقصيدة

مبادرة لإطلاق سراح أحمد سراج 06

هوليوود

ضحية رسوم ترامب على إنتاج الخارج 11

مناضلون

حين يصبح الفنان مؤرِّخا للوجع العام 12

حملات رقمية تستهدف مصر على منصة «X»

التحريض الإلكترونى بين مصر والسعودية.. أداة جديدة فى الصراع الإقليمي

هل تقف الوحدة 8200 الإسرائيلية وراء حملات التحريض بين مصر والسعودية؟

شهدت منصة «X» (تويتر سابقًا) خلال الأيام الماضية، تصاعدًا ملحوظا فى نشاط عدد من الحسابات التى تدّعى انتماءها إلى المملكة العربية السعودية، والتى نشرت محتوى مسيئًا يستهدف الدولة المصرية ومؤسساتها وشعبها.

أثار هذا التصعيد الرقمى جدلًا واسعًا وردود فعل غاضبة، وسط تساؤلات حول هوية هذه الحسابات وأهدافها الحقيقية.

مضامين عدائية وتكرار ممنهج

عبارات مهينة وانتقادات حادة موجهة للسياسات المصرية وللشعب المصري، تضمنتها التغريدات التى نشرتها هذه الحسابات، بالإضافة إلى مقارنات تهكمية على المستويين الاقتصادى والاجتماعى للشعب المصري، كما لوحظ تكرار أنماط معينة فى أسلوب الخطاب وتوقيت النشر، مما دفع مراقبين إلى الاعتقاد بأن هذه الحسابات ليست تعبيرًا فرديًا عن رأى عام، وإنما جزء من حملة منظمة وممنهجة.

مؤشرات على نشاط موجّه

كشف تحليل أجراه المركز المصرى لرصد السلوك الرقمى أن أكثر من ٦٠٪ من الحسابات المشتبَه بها تم إنشاؤها خلال أقل من عام، وتفتقر إلى تفاعلات طبيعية أو نشاط بشرى حقيقي، مع اعتماد واضح على إعادة نشر محتوى تحريضى من حسابات محددة.

وتشير المؤشرات التقنية إلى تكرار العبارات المفتاحية وسرعة النشر غير المنطقية، ما يدل على استخدام أدوات آلية أو وجود تنسيق جماعى يهدف إلى تضليل الرأى العام وتأجيج التوتر بين الدول، وترتبط هذه الأنماط من النشاط الرقمى عادة بحملات ممنهجة تُدار بأساليب مدروسة تتجاوز التعبير الفردى العفوي، وتعكس خلفيات تقنية وسياسية معقدة.

دور محتمل لوحدة ٨٢٠٠

فى ظل تصاعد هذه الحملات الرقمية المنظمة، أشار محللون إلى احتمال تورُّط جهات خارجية فى إدارة هذه الأنشطة، وعلى رأسها وحدة ٨٢٠٠ الإسرائيلية، إحدى أكبر وحدات الاستخبارات الإلكترونية التابعة للجيش الإسرائيلي.

وتشتهر وحدة ٨٢٠٠ بقدراتها المتقدمة فى مجال التنصت الإلكتروني، وتحليل البيانات الضخمة، وتنفيذ الهجمات السيبرانية النفسية، وقد وثقت تقارير دولية دور الوحدة فى زرع الفتنة الرقمية وتأجيج الخطابات الطائفية والسياسية فى دول المنطقة عبر استخدام حسابات مزيفة وشبكات تأثير ضمن بيئة الإعلام المفتوح.

ويرى المختصون أن هذه الحملات قد لا تكون مجرد ردود فعل على خلافات عابرة، بل جزءً من استراتيجيات تسعى إلى تقويض التماسك العربى وإضعاف الروابط بين دول إقليمية محورية، وسط واقع سياسى معقد ومتشابك.

رفض للفتنة الرقمية

لاقى هذا التصعيد رفضًا واسعًا من مستخدمين مصريين وسعوديين على حد سواء، الذين أكدوا أن مثل هذه المحاولات لا تمثل الشعوب ولا تعكس حقيقة العلاقات بين البلدين، والتى تتسم بالتقلبات والتحديات فى آن معًا.

وغرّد الكاتب السعودى عبدالله المالكى قائلاً» أى محاولة لضرب العلاقة بين مصر والسعودية عمل خبيث، ويجب الحذر من الحسابات المجهولة التى تسعى لبث الفتنة بين الأشقاء.»

دعوات لتعزيز الحصانة الرقمية

أطلقت مؤسسات مجتمع مدنى مصرية وعربية حملات توعوية، تدعو المستخدمين إلى التحقق من مصادر المحتوى وعدم الانجرار وراء الاستفزازات الرقمية، مشيرة إلى أن ما يحدث يُعد جزءًا من «حروب الجيل الخامس»، حيث تُستخدم التكنولوجيا كأداة لبث الفرقة والفوضى.

وتناولت دراسات وتقارير تأثير حروب الجيل الخامس على الأمن الفكرى فى مصر، مثل دراسة نجلاء محمد عاطف مصطفى خليل التى تم نشرها فى مجلة كلية الآداب بقنا، والتى تناولت تأثير حروب الجيل الخامس على الشباب المصرى وأثرها فى الأمن الفكري. كما تناولت دار الإفتاء المصرية فى تقرير لها "دور الجماعات الإرهابية فى استغلال وسائل التواصل الاجتماعى كجزء من حروب الجيل الخامس"، مؤكدة على ضرورة التوعية لمواجهة هذه التحديات.

مواقف متباينة تجاه قضايا إقليمية حساسة

تسلط هذه الأزمة الرقمية الضوء على هشاشة البيئة المعلوماتية فى المنطقة، وسهولة استغلالها لإثارة الصراعات بين الشعوب، حتى بين دول ترتبط بعلاقات رسمية وثقافية متشابكة. كما تبرز الحاجة الملحة إلى تطوير منظومة عربية مستقلة للأمن السيبراني، تكون قادرة على التصدى لحملات التضليل والتلاعب الرقمية العابرة للحدود.

ورغم وجود تعاون وتنسيق بين بعض الأطراف الإقليمية، إلا أن التباينات السياسية تتفاقم بفعل مواقف متباينة تجاه قضايا إقليمية حساسة، ففى حين أظهرت السعودية دعمًا واضحًا لإدارة ترامب خلال فترتها الأخيرة، بما فى ذلك مواقف مؤيدة لسياسات التطبيع مع إسرائيل، وهو ما قوبل بانتقادات واسعة فى الأوساط العربية باعتباره مخزيًا ومخالفًا لتطلعات الشعوب، تبنّت مصر خلال قمة بغداد موقفًا أكثر تحفظًا تجاه ملف التطبيع، مؤكدة على ضرورة تعزيز التضامن العربى ورفض التنازلات التى قد تقوض القضية الفلسطينية.

تعكس هذه التباينات واقعًا إقليميًا معقدًا يتطلب مقاربة سياسية متوازنة وواقعية، مع التركيز على حماية المصالح الوطنية وتعزيز الاستقرار والأمن المشترك.

تقرير - إيمان جمعة

زفاف عصام جاد ومنى عمر

فى أجواء تملؤها السعادة احتفل عصام الدين جاد نجل الكاتب الصحفى الراحل هشام جاد بزفافه على الكاتبة الصحفية منى عمر وذلك بحضور نخبة من الأهل والأصدقاء وعدد من الشخصيات القانونية والسياسية والإعلامية والثقافية. وقد شهد الحفل لحظات مؤثرة عبرت عن عمق المحبة، وسط أجواء من الفرح والاحتفاء.

مجدى شندى رئيس تحرير «المشهد» وأسرة التحرير يتقدمون بخالص التهانى للعروسين وأسرتيهما الكريمتين ويتمنون لهما حياة سعيدة ..

الكيميائى عبد المجيد حجازى العضو المنتدب التنفيذى لشركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما»:

نستهدف بيع الأمونيا المستهدفة ٢٢١٩٥ طن سنويا بموازنة ٢٠٢٥/٢٠٢٦

خطوات ثابتة تخطوها شركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما»، نحو مواصلة الريادة وزيادة الإنتاج، حيث تأسست الشركة عام ١٩٥٦ ويتمثل نشاطها فى إنتاج الأسمدة والمواد الكيماوية والفيروسيليكون ونترات الأمنيوم النقية وتعبئة الأكسجين وأى منتجات اخرى مرتبطة أو مكملة لتلك المنتجات والإتجار فيها.

الكيميائى عبد المجيد محمد

أعلنت شركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما» الموازنة التخطيطية للعام المالى ٢٠٢٥/٢٠٢٦ وهو العام الخامس والستون لعمر المصنع القائم والعام السادس لتشغيل المشروع الجديد «كيما ٢».

وكشف الكيميائى عبد المجيد حجازى العضو المنتدب التنفيذى لشركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما»، أن المشروع القائم (كيما ١) لإنتاج السماد المحبب- نترات الأمونيا، وأيضا المشروع الجديد (كيما ٢) لإنتاج الأمونيا يوريا، وتم وضع تنبؤات وتقديرات مستقرة للتكاليف والإيرادات من خلال الرؤية المستقبلية حتى يتم إعادة تأهيل نهاية المصانع مشروع «حامض النيتريك- نترات الأمونيوم» وظهر تأثير ذلك فى الموازنة التخطيطية للعام المالى ٢٠٢٥/٢٠٢٦.

وذكر عبد المجيد حجازي، أنه فيما يخص سماد نترات النشادر تركيز ٣٣.٥% أزوت المخصوص ونترات الأمونيوم النقية منخفضة وعالية الكثافة ٣٤.٨% وسماد اليوريا ٤٦.٥%، وضعت الشركة خطتها لإنتاج ٥٠٩.٣٥٥ ألف طن سماد يوريا ٣٦.٥% بطاقة ٩٨% من الطاقة القصوى الانتاجية لمصنع اليوريا، ٣٣٦٦٠٠ ألف طن أمونيا سائلة بطاقة ٨٥% ٢٤.١ ألف طن سماد ٣٣.٥% أزوت، ١٥ ألف طن نترات أمونيوم منخفضة وعالية الكثافة ٣٤.٨% للأغراض الصناعية والطبية والإنتاج المكافئ لهم ٣٩.٦٨٧ ألف طن، موضحا أنه يتم حساب أيام التشغيل خلال العام على أساس ٣٣٠ يوم تشغيل.

وكشف حجازي، عن أن الشركة تنتج الأمونيا ٣٣٦٦٠٠ طن أمونيا خلال العام بطاقة ٨٥% من الطاقة القصوى الإنتاجية لمصنع الأمونيا «٢٣.٤ ألف طن لإنتاج السماد ٣٣.٥% ولإنتاج النترات ٣٤.٨% – ٢٩١ ألف طن لإنتاج سماد اليوريا ٤٦.٥% – ٢٢.٥ ألف طن للبيع».

وأشار حجازي، إلى أن متوسط استهلاك الأمونيا ١٠٢٠ طن/يوم (٧١ طن أمونيا/ يوم بمعدل استهلاك ١.٧) لإنتاج ١٢٠ طن/ يوم سماد مكافئ– ٨٨٢ طن أمونيا/ يوم بمعدل استهلاك ١.٧٥) لإنتاج ١٥٤٣.٥ طن/ يوم لإنتاج سماد اليوريا ٤٦.٥%)، (٦٧ طن أمونيا/ يوم للبيع).

ونوه حجازي، إلى أن خطة الإنتاج السنوية لجميع المنتجات، تتضمن حوالى ٢٤١٠٥ طن سماد ٣٣.٥% نتروكيما فورت المخصوص بالعناصر الصغرى، حوالى ١٥٠٠٠ طن نترات أمونيوم ٣٤.٨% منخفضة وعالية الكثافة، وحوالى ٥٠٩٣٥٥ طن سماد اليوريا ٤٦.٥%، وحوالى ٣٣٦٦٠٠ طن أمونيا، والفيرسيليكون صفر، وغبار السيلكا صفر.

وأكد العضو المنتدب التنفيذى لشركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما»، أن خطة المبيعات المستهدفة، تتضمن السماد المحبب ٣٣.٥% ٢٤١٠٥ طن سنويا، موضحا أن الشركة تقوم بإعادة تأهيل قسم السماد لإنتاج السماد المخصوص بالعناصر الصغرى مما يمكن للشركة من الارتقاء بمستوى منتجاتها من حيث الجودة وإنتاج سماد مطابق للمواصفات لبيعه للجمعيات الزراعية (بنسبة ٣٠% من الإنتاج) وللسوق المحلى (بنسبة ٧٠% من الإنتاج). وأنه مستهدف بيع نترات الأمونيوم ٣٤.٨% ١٥٠٠٠ طن سنويا، وأن الشركة بذلت جهودا كبيرة فى سبيل تحسين المواصفات حيث يمكن إنتاج منتج مطابق للمواصفات العالمية ويتم بيعه بالأسواق المحلية.

كما أوضح أنه من المستهدف بيع سماد اليوريا ٤٦.٥% (٥٠٩٣٥٥) طن سنويا، حيث قامت الشركة بتنفيذ المشروع الجديد «كيما ٢» مشروع الأمونيا/ يوريا لبيع الإنتاج المستهدف من سماد اليوريا ٥٠٩٣٥٥ طن سنويا فى عام الموازنة ٢٠٢٥/٢٠٢٦، و١٥٢٨٠٧ طن محلى للجمعيات الزراعية (بنسبة ٣٠ % من الانتاج)، و٣٥٦٥٤٨ طن تصدير للخارج (بنسبة ٧٠% من الإنتاج).

وذكر أن خطة بيع الأمونيا المستهدفة ٢٢١٩٥ طن سنويا فى عام الموازنة ٢٠٢٥/٢٠٢٦ بمعدل ٦٧طن/ يوم، وذلك لعدم اتمام اعادة تأهيل مصنع كيما «١» حتى تاريخ اعداد الموازنة فالفائض فى إنتاج الأمونيا يتم التصرف فيه بالبيع فى السوق المحلي.

وألمح حجازي، إلى متوسط سعر بيع طن السماد ٣٣.٥% أزوت نتروكيما المخصوص للجمعيات ٤١٩٠ جنيه/طن، كما أن متوسط سعر بيع طن السماد ٣٣.٥% أزوت نتروكيما المخصوص سوق محلى ١٧٥٠٠ جنيه/طن، ومتوسط سعر بيع طن نترات الأمونيوم النقية ٣٤.٨% للسوق المحلى ٣٩٧٨٠ جنيه/طن.

وأشار إلى أن سعر بيع طن سماد اليوريا ٤٦.٥% للجمعيات الزراعية ٤٢٨٦ جنيه/طن، وسعر بيع سماد اليوريا ٤٦.٥% للتصدير ٢٠٤٠٠ جنيه/طن، وسعر بيع طن الأمونيا ٢٨٠٥٠ جنيه/طن.

وعن الخطة الاستثمارية للعام المالى ٢٠٢٥/٢٠٢٦، كشف عن أن إحلال وتجديد المصانع محليا يبلغ ٢٣٢٦٧٠١ ألف جنيه، وأجنبيا ٤٨٢٤٣٧٣ ألف جنيه، بإجمالى ٧١٥١٠٧٤ ألف جنيه، والذى يعد لازما للمحافظة على الطاقة القائمة للمصانع ما أمكن بعد تشغيل ٦٤ عاما، بالإضافة إلى الاستثمارات التى تفرضها قوانين البيئة لمعالجة التلوث. وكشف حجازي، عن حصول الشركة على شهادة الجودة ٩٠٠١ لسنة ٢٠١٥ وشهادة البيئة ١٤٠٠١ لسنة ٢٠١٥، شهادة المطابقة لمتطلبات السلامة والصحة المدنية أيزو ٤٥٠٠١ لسنة ٢٠١٨، كما أنه تم إدراج نصيب عام الموازنة من مشروع إعادة تأهيل مصنع حامض النيتريك ونترات الأمونيوم كيما «١» حيث تم توقيع عقد المشروع مع شركة تكنومنت الإيطالية للتنفيذ.

قالت العرب

"لا أحنُّ إلى أي شيء
فلا أمس يمضي ولا الغد يأتي
ولا حاضري يتقدَّم / لا شيء يحدث لي!
ليتني حجر"

محمود درويش (1941 – 2008)

المشهد
العدد 339 – السنة الرابعة عشرة -الأحد 25 مايو 2025 م الموافق 27 ذو القعدة 1446 هـ

حين خرجت الكنيسة من مصر ولم تخرج مصر منها

الشتات القبطى

فى صباح أحد بارد فى مدينة تورونتو الكندية، يعلو صوت التسبيحة القبطية فى كنيسة «القديس مرقس». المصلون يردّدون: «تين أويك»، بينما الأطفال يجلسون بصبر، بعضهم لا يفهم كلمة واحدة من اللغة القبطية أو العربية. أحد الخدام يهمس بلطف لصبى فى السابعة بالإنجليزية، يشرح له ما يقوله الكاهن. هذه اللحظة تختصر تحوّلًا هائلًا تمر به الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، منذ أن بدأت فى الخروج من مصر، قبل أكثر من نصف قرن.

الكنيسة التى وُلدت فى الإسكندرية، وأصبحت تُعرف بـ«كنيسة الشهداء»، تخوض اليوم تجربة وجود غير مسبوقة فى تاريخها. مئات الكنائس المنتشرة فى كندا، الولايات المتحدة، أستراليا، وأوروبا الغربية، تخدم ملايين الأقباط الذين غادروا مصر، حاملين معهم طقوسهم، وصلواتهم، وحنينهم.

كمال زاخر: الكنيسة فى المهجر تعانى من صراعات الهوية والمستقبل مرهون بتفهم تحولات الخارج

الهجرة تصنع كنيسة جديدة

بدأت الهجرة القبطية بوتيرة متسارعة، منذ السبعينات، مدفوعة بأسباب سياسية، واقتصادية، وأحيانًا أمنية. مع كل موجة، كانت الكنيسة تتبع أبناءها، ترسل الكهنة، وتبنى الكنائس. واليوم، بحسب تقديرات غير رسمية، هناك أكثر من ٦٠٠ كنيسة قبطية فى المهجر.

لكن بناء الكنائس لم يكن مجرد مدّ طوب وأسقف؛ بل كان إعادة زرع جذور دينية وثقافية، فى أرض مختلفة تمامًا. فى المهجر، لم تعد الكنيسة فقط ملجأً روحيًا؛ بل صارت أيضًا مركزًا اجتماعيًا، تعليميًا، ونفسيًا.

الآباء يحملون مصر والأبناء يصنعون هوية جديدة

داخل هذه الكنائس، تعيش الأجيال على توازن دقيق. الجيل الأول من المهاجرين، يرى فى الكنيسة حضن الوطن، واللغة، والذكريات. أما الجيل الثانى والثالث، فله عينان على العالم الجديد، وهُوية متأرجحة بين «أنا مصري» و«أنا كندي» أو «أمريكي».

يقول «مينا»، شاب قبطى يعيش فى مونتريال: «بحب الكنيسة، لكن أوقات بحس إنها مش فاهماني. هم بيكلمونى بلغة، وأنا بفكر بلغة تانية». كثير من الشباب يشعرون أن العظات التقليدية لا تمس واقعهم، وأن الكنيسة تركز على الشكل والطقس أكثر من الجوهر.

النتيجة.. البعض يبتعد، والبعض ينتقل إلى كنائس أخرى أكثر انفتاحًا. لكن فى المقابل، هناك محاولات جادة من بعض الكهنة والخدام، لفهم هذا الجيل، بلغة جديدة، وتواصل أعمق.

وعلق المفكر القبطى ومؤسس التيار العلمانى داخل الكنيسة، كمال زاخر، "إن الفضل فى تأسيس الكنائس القبطية بالخارج يعود إلى البابا كيرلس السادس، والأنبا صموئيل، أسقف الخدمات العامة الذى استُشهد فى حادث المنصة عام ١٩٨١. وأوضح أن الحاجة هى التى دفعت الكنيسة آنذاك إلى التوسع خارج مصر، خاصة بعد موجات الهجرة الأولى إلى الغرب، سواء قبل ثورة يوليو أو بعدها، حيث كانت الرغبة الأساسية هى مد مظلة الرعاية الروحية لأبناء الكنيسة الذين غادروا مصر، لكن تمسّكوا بعلاقتهم الروحية والتقليدية بالكنيسة القبطية".

ومع مرور الوقت، وظهور أجيال جديدة من أبناء المهاجرين، استمر التوسع الكنسي، لكن ظهرت تحديات من نوع آخر – بحسب زاخر – أبرزها: الوصول إلى الجيلين الثالث والرابع. وقال إن أبناء هذه الأجيال يعيشون فى بيئة مختلفة، وثقافتهم وانتماؤهم باتا أقرب إلى الدول التى وُلدوا ونشأوا فيها. وتابع: "الجيل الثالث والرابع يحملان ثقافة البلد المقيم فيه، وانتماؤهما له يكون طبيعيًا، ما يفرض على الكنيسة مسؤوليات جديدة لم تكن مطروحة فى الماضي".

وشدّد زاخر على ضرورة أن تغيّر الكنيسة من أدواتها فى التعامل مع هؤلاء، قائلًا: "يجب أن تتغير معايير اختيار الأساقفة والكهنة فى الخارج، بحيث تراعى الثقافة المحلية، واللغة، والقدرة على التفاعل مع التحديات الفكرية والاجتماعية الجديدة، التى تجتاح المجتمعات الغربية". وأضاف: "ينبغى كذلك إعداد خدام من أبناء هذه الأجيال، ذوى الأصول المصرية، وهو ما أعتقد أن الكنيسة بدأت بالفعل فى تنفيذه، من خلال افتتاح أديرة مصرية بالخارج؛ ما يتيح انخراط المقيمين فى الحياة الرهبانية، والخدمة الكنسية".

وتطرق زاخر إلى قضية مزدوجى الجنسية من رجال الإكليروس، وقال إنها ستطرح إشكالية مستقبلية، حيث سيكون هناك كهنة وأساقفة مصريون يحملون جنسيات أخرى، وبالتالى يصبح من حقهم، من الناحية النظرية، أن يشاركوا فى كل المسؤوليات الكنسية؛ بما فيها: الترشح للبطريركية. وتساءل: "هل نتخيل فى ظل الثقافة السائدة فى مصر، وفى الشرق عمومًا، أن يُختار بطريرك من الأقباط الفرنسيين أو الأمريكيين؟ هذا ما حدث بالفعل فى الكنيسة الكاثوليكية، لكنه لا يزال غير مقبول فى سياقنا القبطى حتى الآن".

وحول تجديد الخطاب الكنسي، قال زاخر: "إن الكنائس فى الخارج لا تصلى باللغة العربية، وهذا أمر طبيعي، ولا يجب أن يُنظر إليه باعتباره انحرافًا". وأضاف: "الكنيسة بحاجة إلى تغيير فى الشكل واللغة والطرح؛ لتظل قريبة من الشباب. العلاقة بين الكهنة والعلمانيين فى الغرب مختلفة كليًا عنها فى مصر، حيث نحن محكومون بتراث طويل يفرض أنماطًا تقليدية، لم تعد صالحة فى السياق الجديد".

وأشار إلى أن الخلاف فى وجهات النظر بين الكنيسة الأم فى مصر، وأساقفة المهجر، وارد بطبيعته، لكنه لا يزال محدودًا؛ لأن الغالبية العظمى من الأساقفة فى الخارج هم من أصل مصري، باستثناء اثنين تقريبًا فى فرنسا من أصول فرنسية. وقال: "حتى الآن، المشاكل التى تحدث فى الداخل تتكرر بشكل شبه متطابق فى الخارج، لكن الأمر سيتغير مع تطور الثقافة والوعي؛ لأنه حتى داخل مصر نفسها، الأجيال المختلفة باتت تعيش فجوات ثقافية وفكرية متسعة. وإذا لم نتطور، سنحكم على أنفسنا بالفناء".

وعن مسألة استقلال الكنائس فى الخارج، قال زاخر إن هذا الاستقلال نسبي، موضحًا أن الكنائس هناك تملك مساحة من الحركة فى علاقاتها مع المجتمع المحلي، لكنها لا تملك حرية التغيير فى العقيدة، أو الطقوس، أو النظام الكنسي؛ لأن هذه الأمور "محكومة" ولا تحتمل الاجتهاد.

وفى ما يخص القضايا الاجتماعية المعقدة التى تواجه الكنيسة فى الخارج، مثل: المثلية الجنسية، والهجرة غير الشرعية، أوضح زاخر أن الكنيسة تتعامل معها بتوازن دقيق، قائلًا: "فى الأمور السياسية، الكنيسة فى الخارج تعمل لتحقيق مصلحتها ومصلحة أبنائها، أما فى القضايا الأخلاقية، فهى تخضع بالكامل للمنظومة الإيمانية الأرثوذكسية، التى لا تتغير".

وأكد زاخر أن التأثير بين الكنيسة الأم والكنيسة فى المهجر، ليس من طرف واحد؛ بل هو تبادل حيوى ومؤثر، وقال: "مصر نفسها كبلد تأثرت فى مراحل كثيرة من تاريخها، بالاحتكاك مع الغرب، وفى كل مرة يحدث فيها هذا الاشتباك الثقافي، تظهر موجات من التنوير والتطوير داخل الكنيسة المصرية".

أما عن انفتاح الكنيسة على تغيير نظم التعليم الكنسى أو الطقوس، فرفض زاخر وصفها بالمنغلقة أو المنفتحة، مشيرًا إلى أن الأمر معقد، ويعتمد على طبيعة الأجيال الجديدة، وسرعة التحولات العالمية، وسهولة الوصول إلى المعلومات. وقال: "نحن أمام عالم يتحرك بسرعة، والمعلومة متاحة للجميع، وهذا يفرض على الكنيسة أن تكون أكثر وعيًا واستعدادًا للتغيير".

وفيما يتعلق بالصدامات التى قد تحدث بين الإيمان والمجتمع المحيط، أكد زاخر أن "المؤمن يظل مؤمنًا فى أى مكان، لكن لا شك أن هناك حالات صدام تنشأ، وتُعالَج داخل الكنيسة بالحوار، والاجتماعات، والنقاش المفتوح، لا بالرفض القاطع".

واختتم زاخر حديثه بالتأكيد على أن الخوف من التغيير لا يزال قائمًا داخل الكنيسة، لكنه فى الغالب خوف ناتج عن الفجوة بين الأجيال، قائلًا: "الأجيال القديمة ترى فى أى تغيير تهديدًا ورفضًا للموروث، أما الأجيال الجديدة فتدخل فى صراع بين القديم والحديث، لكنها فى النهاية تتقبل الجديد، بشرط أن يأتى فى إطار الإيمان والتقليد الأرثوذكسي".

هل تتغير الكنيسة؟ أم تتغرب؟

الكنيسة فى المهجر أمام مفترق طرق: إما أن تتمسك بشكلها التقليدى وتخسر الأجيال الجديدة، أو أن تراجع نفسها، وتعيد تقديم إيمانها بشكل يناسب مناخًا جديدًا.

بعض الكنائس بدأت تقدم خدمات غير تقليدية؛ جلسات دعم نفسي، مشورات أسرية، استخدام مكثف للسوشيال ميديا، وحتى عظات بالإنجليزية بالكامل. فى المقابل، هناك كنائس أخرى لا تزال ترفض أي تغيير، وترى فى ذلك تهديدًا لـ"الإيمان المستقيم".

الواقع أن التحوّل حاصل، سواء اعترفت به الكنيسة أم لا. الأقباط فى المهجر يعيشون تجربة دينية واجتماعية مختلفة، تُعيد تشكيل علاقتهم بالكنيسة، وربما بمفهوم الإيمان ذاته.

هل يعود التأثير إلى الداخل؟

سؤال مفتوح بدأ يتردد: هل يمكن لكنيسة المهجر أن تؤثر فى كنيسة الوطن؟ هل تنتقل موجات التجديد والتحديث من الخارج إلى الداخل؟

فى بعض الأحيان، يحدث العكس؛ يتم انتقاد بعض ممارسات كنائس المهجر داخل مصر، وتُتهم بأنها تُفرّط فى التقاليد. لكن فى الوقت نفسه، هناك إعجاب بقدرة هذه الكنائس على التنظيم، والإبداع فى التواصل، ورعاية الشباب.

الكنيسة القبطية: بين الجغرافيا والروحانية

الكنيسة القبطية خرجت من مصر، لكنها لم تخرج من المصريين. هى تحاول أن تحتفظ بروحها، وهى تتنقل فى جغرافيا وثقافات جديدة. ربما لا تزال تبحث عن توازن بين القداسة والواقعية، بين الوطن والمهجر، بين الماضى والمستقبل.

وتكتب الكنيسة فصلًا جديدًا من تاريخها، لا يقل أهمية عن فصول الشهداء والآباء الأولين.

تقرير: مادونا شوقي

مجلس النواب يمرر المشروع وسط رفض نقابى واسع

قانون العمل الجديد «بلا عمال»

فى خطوة أثارت جدلًا واسعًا داخل الأوساط النقابية والعمالية، أقر البرلمان المصرى مشروع قانون العمل الجديد، وذلك رغمًا عن الاعتراضات الواسعة من معارضين للقانون، اعتبروا أنه ينحاز إلى رجال الأعمال، كما أن أغلب مواده تشابه القانون القديم.

وبينما يتجاهل القانون الجديد أصوات الملايين من العمال، الذين لن ينالوا من القانون الجديد سوى مزيد من التهميش، وفقدان الأمان الوظيفى – بحسب المعارضين للقانون – تعيش الأوساط العمال أزمة اقتصادية ضخمة، وتخفيضًا للعملة؛ تسببت فى تآكل أجورهم بشكل مفجع.

جاء إقرار القانون بعد سنوات من الجدل والتأجيل؛ ليضع نقطة نهاية لمسار تشريعى طويل، بدأ فى أروقة الحكومة منذ عام ٢٠١٧، ومرّ بمحطات متقطعة من النقاش المجتزأ، والاستماع المحدود. لكنّ هذه النهاية، التى رُوّج لها باعتبارها «نقلة نوعية فى سوق العمل»، لم تأت محمّلة بالآمال؛ بل فجّرت موجة من القلق والغضب فى أوساط النقابات، والقيادات العمالية، وعدد من البرلمانيين، الذين اعتبروا أن القانون خرج إلى النور مشوّهًا، خاليًا من أى روح اجتماعية، ومفصّلًا لخدمة أصحاب الأعمال والمستثمرين، على حساب ملايين العمال.

ورغم الشعارات الرسمية عن حماية الحقوق وتعزيز الإنتاج، فإن القانون، فى صيغته النهائية – بحسب منتقديه – يُعيد إنتاج نفس المنظومة التى همّشت العامل المصرى لعقود؛ بل ويمنح أصحاب الأعمال أدوات قانونية جديدة، تُمكنهم من الفصل، والتعسف، وتقويض الحق فى التنظيم والإضراب، وكل ذلك تحت غطاء «التنظيم والتحديث».

الأخطر – كما يرى معارضو القانون – أن تمريره جاء فى توقيت بالغ الحساسية؛ حيث تواجه الطبقة العاملة المصرية أزمات اقتصادية طاحنة، وتراجعًا غير مسبوق فى القوة الشرائية، وتآكلا مستمرًا فى الأجور، فى ظل أوضاع معيشية خانقة، ونقابات مقيدة، وقنوات تعبير مشلولة.

القانون فشل فى حماية العمال

الأمان الوظيفي: منح القانون صاحب العمل الحق فى اختيار نوع العقد كونه مؤقتًا أم دائمًا؛ وهو ما يمثل مغالطة كبيرة. فى حين يدعو الخبراء إلى حصر العقود المحددة المدة فى الأعمال المؤقتة أو الموسمية فقط، كما أن القانون أيضًا يسمح بإنهاء عقد العمل غير محدد المدة، بشرط الإخطار الكتابي.

من جانبه، شنّ كمال عباس، منسق دار الخدمات النقابية والعمالية، هجومًا حادًا على القانون الجديد، معتبرًا إياه «فرصة مهدرة أخرى لإصلاح منظومة العمل المختلة»، ومؤكدًا أنه لم يلبّ الحد الأدنى من المطالب التى نادت بها الحركة العمالية، على مدار أكثر من عقد.

وقال عباس: «هذا القانون لم يتم صياغته لحماية العمال؛ بل لحماية أرباب الأعمال. كل سطر فيه يعبّر عن انحياز واضح لرأس المال، على حساب حقوق الطبقة العاملة، التى طالما دفعت ثمن السياسات الاقتصادية وحدها».

وأشار إلى أن أحد أخطر ما تضمنه القانون، هو الإبقاء على حالة الغموض والمرونة المفرطة فى العقود المؤقتة، قائلًا: «ما زلنا أمام قانون يرسخ انعدام الأمان الوظيفي. العقود المؤقتة تنتشر بلا ضابط أو رابط، وكأننا فى سوق للعمالة اليومية، لا فى سوق عمل منظم يخضع للقانون والدستور».

وانتقد عباس استبعاد العمالة المنزلية من مظلة الحماية، معتبرًا ذلك «تمييزًا فجًا» لا يتسق مع مبادئ العدالة والمساواة التى نصّ عليها الدستور المصري، والاتفاقيات الدولية التى وقعت عليها مصر. مضيفًا: «هؤلاء العاملات من أكثر الفئات هشاشة، ويواجهن انتهاكات ممنهجة دون أى حماية قانونية. استبعادهن من القانون هو رسالة بأن معاناتهن غير مرئية وغير مهمة».

كما لفت إلى ما وصفه بـ«تغول» وكالات الاستخدام، مؤكدًا أن القانون منحها مساحة أوسع من السابق للتحكم فى سوق العمل دون رقيب، قائلًا: «ما يحدث الآن هو خصخصة متوحشة لسوق العمل، حيث تتحول حقوق العمال إلى سلعة فى يد شركات الوساطة».

وتابع عباس نقده للقانون، قائلًا: «إن النص الحالى أعاد إنتاج معظم المواد الإشكالية الواردة فى القانون القديم رقم ١٢ لسنة ٢٠٠٣، متجاهلًا بوضوح توصيات منظمة العمل الدولية؛ بل وضاربًا عرض الحائط بمبادئ الدستور المصرى نفسه، الذى ينص على الحق فى العمل، والكرامة، والتفاوض، والإضراب المشروع». وأضاف: «نحن أمام تشريع لا يرى العامل كإنسان؛ بل كأداة إنتاج يمكن الاستغناء عنها فى أى لحظة».

وأكد أن القانون لم يخرج من رحم حوار اجتماعى حقيقي؛ بل تم تمريره بنفس الآلية التى طالما انتُقدت، قائلًا: «جرى إقصاء النقابات المستقلة، والتعامل مع العمال كمجرد طرف صامت لا يُستشار، فى حين كان يجب أن يكونوا فى صدارة الحوار».

كما دعا عباس إلى مراجعة شاملة للقانون، وإطلاق حوار مجتمعى واسع، يضمن مشاركة حقيقية للعمال وتنظيماتهم المستقلة، مشددًا على أن «العدالة الاجتماعية لن تتحقق بقانون كهذا؛ بل بقانون ينحاز للضعفاء، ويعيد التوازن لعلاقات العمل المختلة».

●●●

الإضراب: يحظر المشروع الإضراب فى المنشآت الحيوية التى تقدم خدمات أساسية، أو فى الظروف الاستثنائية، مع اشتراط إخطار صاحب العمل، والجهة الإدارية، قبل ١٠ أيام من الإضراب، بما فيها موعد إنهاء الإضراب. إلا أن هذه الشروط تعتبر تعجيزية، خاصة أن الإضرابات عادة ما تكون نتيجة مطالب ملحة، تتعلق بحياة العمال وعائلاتهم.

●●●

كان الدكتور أحمد البرعي، الوزير الأسبق وأستاذ القانون بجامعة القاهرة، عبر عن صدمة كبيرة إزاء تمرير القانون، واصفًا إياه بأنه «قرار كارثى من حيث التوقيت والمضمون». وأكد أن البلاد تمر بمرحلة من التوترات الاقتصادية والاجتماعية الحادة؛ ما يجعل من الضرورى وجود تشريعات تدعم الاستقرار وتحمى الحقوق، لا أن تمرر قوانين تفاقم الاحتقان، وتقلص هوامش الأمان الوظيفي.

معارضو القانون: ينحاز إلى رجال الأعمال ويزيد تهميش العمال

وقال البرعي: «تمرير قانون بهذه الصيغة، فى هذا التوقيت، يفتقر إلى الحس السياسى والاجتماعي. لا توجد دولة تمر بظروف ضاغطة ثم تُصدر قانونًا يقيد العمل النقابي، ويُضيّق على العمال حقهم فى التعبير والتنظيم».

وأبرز البرعى خطورة المواد التى تناولت الحق فى الإضراب، معتبرًا أنها لا تنظمه؛ بل تعرقل ممارسته فعليًا، وتحوله إلى جريمة مقنّعة. وأوضح: «القانون تجاهل أن الإضراب حق أصيل، أقرته المحكمة الدستورية العليا فى حكمها الصادر عام ١٩٨٧، كما أكدته الاتفاقيات الدولية التى وقعت عليها مصر. لكننا أمام نصوص تفرض شروطًا شبه تعجيزية على الإضراب؛ مما يعنى أنه صار مستحيلًا قانونًا».

وشدد البرعى على أن هذا القانون لا يأتى فى سياق إصلاحي؛ بل يعكس ما أسماه «نزعة تراجعية» فى التعامل مع قضايا الحريات النقابية والعدالة الاجتماعية. وقال: «كان يفترض أن القانون الجديد يعالج المشكلات المتراكمة فى قانون العمل القديم، خاصة مسألة الفصل التعسفى التى طالت آلاف العمال، خلال السنوات الأخيرة، لكنه للأسف تجاهل تلك الأزمات تمامًا».

كما أشار إلى أن القانون أغفل ملف الأجور العادلة، ولم يُلزم أصحاب الأعمال بأى معايير شفافة، أو آليات مراجعة دورية لمستويات الأجر مقارنة بتكاليف المعيشة، مضيفًا: «كيف نتحدث عن إصلاح سوق العمل فى ظل تغييب العدالة فى الأجر، واستمرار فجوة القوة التفاوضية بين أصحاب الأعمال والعمال؟».

وانتقد البرعى كذلك غياب التمثيل الحقيقى للعمال فى آليات التفاوض الجماعي، مشيرًا إلى أن القانون حافظ على بنية إدارية فوقية، تُقصى النقابات المستقلة، وتُضعف من فرص بناء حركة عمالية حقيقية وقادرة على التفاوض، موضحًا: «النص الجديد لم يرسخ الحوار الاجتماعي؛ بل فرّغه من مضمونه، وأعادنا خطوات للوراء».

واختتم البرعى حديثه محذرًا من تداعيات تمرير مثل هذا القانون، دون توافق أو حوار مجتمعى حقيقي، قائلًا: «القوانين التى تمس حياة الملايين لا يمكن أن تُصاغ فى غرف مغلقة. ما جرى يمثل تراجعًا عن التزاماتنا الدستورية والدولية، وسيدفع ثمنه المجتمع بأكمله، وليس العمال وحدهم».

النقابات تُدار أمنيًا.. ولا صوت للعمال

●●●

الأجور: لا يوفر القانون الجديد وضع حد أدنى للأجور، وبما يضمن استقرار علاقات العمل، حيث يجب أن يغطى جميع القطاعات ويزداد سنويًا وفقًا لمعدل التضخم. كما يتم احتساب اشتراكات التأمين ضمنه، فضلًا عن تخفيض مواد القانون للعلاوة الدورية من ٧٪ إلى ٣٪ بما ينتقص من حقوق العمال التى اكتسبوها عبر نضالاتهم على مدار سنوات.

●●●

أما كرم عبدالحليم، القيادى فى نقابة نوادى هيئة قناة السويس، فعبّر عن رفضه الصريح للقانون، واصفًا إياه بأنه «تراجع خطير عن مكتسبات تاريخية حصل عليها العمال بنضالات طويلة، وخصوصًا فى ما يتعلق بحرية التنظيم والعمل النقابى المستقل».

وأضاف عبدالحليم: «من غير المقبول مناقشة قانون بهذا الحجم وسط ظروف معيشية متدهورة إلى هذا الحد. الناس بالكاد قادرة على تلبية احتياجاتها الأساسية، ثم يُطرح قانون لا يحمل أى حماية حقيقية للعمال؛ بل يعمّق هشاشتهم».

وأشار إلى أن المشهد النقابى بات فى حالة «شلل مقصود»، متهمًا الجهات الرسمية بإفراغ النقابات من دورها التمثيلى الحقيقي، وقال: «النقابات أصبحت تُدار أمنيًا لا سياسيًا أو مهنيًا؛ حيث تُفرض إدارات، وتُقيّد الانتخابات، وتُرفض النقابات المستقلة مثل نقابتنا، التى لا تزال وزارة العمل ترفض الاعتراف بها فعليًا، رغم استيفائها كل الشروط».

وأكد عبدالحليم أن القانون الجديد، حتى وإن تضمّن موادًا تبدو جيدة نظريًا، فإنها تظل بلا قيمة طالما أن حرية التنظيم النقابى غائبة، مشددًا: «لا يمكن الحديث عن أى قانون عمل عادل أو متوازن فى ظل غياب الأساس: نقابات حرة ومستقلة تدافع عن مصالح أعضائها دون تدخل أو وصاية».

كما لفت إلى أن مشروع القانون لم يأتِ استجابة لاحتياجات العمال؛ بل جرى تمريره وفق مقاييس ترضى أصحاب الأعمال، وتقلل من كلفة التفاوض الجماعي. وأضاف: «هذا القانون لا ينحاز لمصالح العامل الذى لا يجد تأمينًا ولا أجورًا تكفيه؛ بل ينحاز لصاحب العمل الذى يريد مرونة مطلقة فى التعيين والفصل».

الحكومة: قانون مواكب للعصر

●●●

وكالات الاستخدام: يكرس القانون الجديد لتغول عمل وكالات الاستخدام، حيث يجيز قيام شركات التوظيف بتشغيل العمال مقابل نسبة من الأجر، وتقاضى مبالغ مالية منهم، بعد التحاقهم بالعمل، بالمخالفة لاتفاقية العمل الدولية.

●●●

فى المقابل، تؤكد الحكومة أن القانون الجديد يُعد «نقلة نوعية»؛ حيث ينظم علاقات العمل فى القطاع الخاص، ويمنح مرونة لأصحاب الأعمال، مع ضمانات تحفظ حقوق العمال.

واعتبر مؤيدو القانون من النواب أنه «يواكب متطلبات السوق ويشجع الاستثمار»، مستشهدين بمواد جديدة تتعلق بالتحكيم فى نزاعات العمل، وإجراءات السلامة والصحة المهنية، وتحديث آليات التفتيش.

جدير بالذكر أن الكتاب الدورى رقم ٢ لسنة ٢٠٢٥ الصادر عن وزارة العمل، دعا إلى تحديد حد أدنى للأجور فى القطاع الخاص بـ ٧٠٠٠ جنيه شهريًا؛ وهو ما اعتبرته الحكومة خطوة لحماية دخل العمال. إلا أن المعارضين أكدوا أن الرقم لا يكفى لتغطية تكاليف المعيشة، خاصة بعد احتساب الاستقطاعات، كما لا توجد أى آلية أو عقاب من شأنه إجبار أصحاب الأعمال على تطبيقه.

رغم تمريره، يواجه قانون العمل الجديد موجة غضب قد تعيق تطبيقه على الأرض. ففى ظل غياب التمثيل الحقيقى للعمال، والتضييق على النقابات المستقلة، وارتفاع معدلات البطالة والتضخم، يرى منتقدوه أنه سيكون «قانونًا بدون عمال»، حسب تعبير المعارضين له.

تقرير: أسماء زيدان

المشهد
العدد 339 - السنة الرابعة عشرة -الأحد 25 مايو 2025 م الموافق 27 ذو القعدة 1446 هـ

قالت العرب
"وأنت تعد فطورك، فكر بغيرك... (لا تنس قوت الحمام)
وأنت تخوض حروبك، فكر بغيرك... (لا تنس من يطلبون السلام)
وأنت تسدد فاتورة الماء، فكر بغيرك...
(ثمة من يرضعون الغمام)

إنتاج اللا معنى فى الجامعات

اللا منتمون والعدمية الأكاديمية .. «دردشة مع الذات»

الأزمة التى أركز عليها بشعة، لأنها ثلاثية الأبعاد: بنيوية وإجرائية وسلوكية، تتلخص فى أن عدداً كبيراً من كليات العلوم الاجتماعية العربية لم يعد ينتج معنىً يرتقى إلى ما يفترضه العلم الاجتماعي، وباتت تنتج ما يسميه المصريون مزاحاً "بالهلاضيم" أو بتعبير التونسى الطاهر لبيب -الرئيس السابق للجمعية الدولية لعلم الاجتماع - "اللا معنى". معاهد ومؤسسات تحتضن طوابير من اللا منتمين الذين لا يلتزمون بأصول وضوابط ممارسة تلك العلوم.

ومشكلتا اللا معنى واللا انتماء مرتبطتان، ويشكلان معاً أزمة بنيوية وإجرائية وسلوكية عويصة تعصف بدور وبتطور العلوم الاجتماعية العربية. أزمة بنيوية؛ لأن نشأة عدد ليس قليل من كليات العلوم الاجتماعية فى البلدان العربية جاء إما مشوهاً، أو مبتسرًا، أو فوقياً، لم يراع قواعد البناء والنضج السليمة للمؤسسات.

وأزمة إجرائية لأن ما يجرى كل يوم فى تلك الكليات يكشف عن أنها تكبل نفسها بإجراءات ونظم تشغيل ولوائح إدارية تنحرف بها عن مقاصدها ليصبح الشكل فيها أهم من المضمون.

وأخيراً أزمة سلوكية لها مظاهر لا يمكن أن تخطئها العين، وهى ترى تصرفات منفرة يأتى بها بعض المشتغلين بالعلوم الاجتماعية، أقل ما يقال فى وصفها أنها مجافية للصواب إن لم تكن مخجلة ومعيبة.

ولا أزمات بدون مسببات، وأبرز مسببات تغييب المعنى مرتبط باللا منتمين، وهم جزء من المشتغلين فى أروقة مؤسسات العلوم الاجتماعية، راحوا يعمقون سقطات هذه العلوم، بدلاً من أن يقيلوها من عثراتها.

وقد عرّفتنى الخبرات الثلاث: النظرية الغارقة فى التجريد، والميدانية اللصيقة بالناس، والنخبوية القريبة من صنع القرار أن العلوم الاجتماعية العربية بشكل عام، وعلم السياسة الذى أنتمى إلى تقاليده بشكل خاص، بحاجة ماسة إلى وقفات شجاعة مع النفس والبداية بأن يسأل المشتغلون فى هذه العلوم أنفسهم سؤالاً صعباً لا مفر منه إن أريد لتلك المعاهد إصلاحاً: هل نحن حقاً ننتمى إلى تلك العلوم؟

جدول 3 : توزيع الجامعات المشاركة في تصنيف التايمز 2025 حسب أدائها في التصنيف

	افضل 200 جامعة	500-201	1000-501	1200-1001	1500-1201	1501 +	غير مصنف	عدد الجامعات
السعودية	1	6	15	3	-	-	-	25
الإمارات	1	6	1	-	-	-	7	15
مصر	-	-	7	14	11	3	12	47
الأردن	-	-	5	4	3	-	8	20
لبنان	-	1	2	-	2	-	1	6
المغرب	-	1	-	-	3	8	4	16
الكويت	-	1	-	-	1	-	3	5
قطر	-	1	-	-	-	-	-	1
البحرين	-	-	1	-	-	-	2	3
سلطنة عمان	-	-	1	-	-	-	8	9
تونس	-	-	1	1	2	4	2	10
العراق	-	-	-	3	3	16	58	80
الجزائر	-	-	-	-	1	25	56	82
فلسطين	-	-	-	-	1	-	6	7
سوريا	-	-	-	-	-	1	2	3
ليبيا		-	-	-	-	-	8	8
الصومال	-	-	-	-	-	-	3	3
اليمن	-	-	-	-	-	-	2	2
السودان	-	-	-	-	-	-	1	1
جزر القمر	-	-	-	-	-	-	1	1
المجموع	2	16	33	25	27	57	184	344

كثير من الإنتاج الأكاديمي اليوم قائم على أطروحات بلا مضمون ومشروعات بلا هوية

العلوم الاجتماعية الراسخة ذات المعنى علوم ناطقة، جريئة وشجاعة لا مكان فيها للجبناء

اللا معنى

فالمشتغلون بالعلوم الاجتماعية فى المنطقة العربية وبعد أكثر من قرنين من أول تعرف على تقاليدها المستوردة، ما زالوا يعيشون حالة من الدهشة، انفصلت فيها الدوال عن الأحوال، وبتعبير مصرى دارج أصبحت «مبتجمعش.» تنتج عدمية فكرية أنستنا طبيعة وهوية ورسالة العلوم الاجتماعية. لكن ما هو أصلاً المعنى والرسالة والهوية التى يجب أن تركز عليه هذه العلوم؟

للإجابة، أعود إلى نص عميق لعبدالرحمن الكواكبى يلخص المعنى الأسمى للعلوم الاجتماعية، وهو مقاومة القهر، كل أشكال القهر. يقول الكواكبى فى صفحتى ٤٦ و٤٧ من كتابه الأيقونى «طبائع الاستبداد»:

«إن الاستبداد لا يخشى علوم اللغة، فتلك العلوم التى بعضها يقوّم اللسان أكثرها هزل وهذيان. وهو لا يخاف علوم اللغة إلا إذا كان وراء اللسان حكمة.. وكذلك لا يخاف الاستبداد من العلوم الدينية المتعلقة بما بين الإنسان وربه، لأنها لا ترفع غباوة ولا تزيل غشاوة، وإنما يتلهى بها المتهوسون حتى إذا أضاعوا فيها أعمارهم وصاروا لا يرون علماً غير علمهم، أمن الاستبداد منهم كما يؤمن شر السكران إذا خمر. لكن فرائص الاستبداد ترتعد من علوم الحياة مثل الحكمة النظرية والفلسفة العقلية وحقوق الأمم وطبائع الاجتماع والسياسة المدنية والتاريخ المفصل والخطابة الأدبية ونحو ذلك من العلوم التى تكبّر النفس وتوسع العقول وتعرف الإنسان حقوقه وكم هو مغبون فيها وكيف الطلب وكيف النوال وكيف الحفظ.»

هذا هو المعنى الذى كان يجب وما زال على كليات العلوم الاجتماعية العربية أن تنتجه. أن تكون علوم حياة وليس كما هى اليوم علوم ميتة أو شبه ميتة؛ لأنها دخلت فى متاهة وكثير من الممارسات الماسخة التى لا يمكن أن ينتج عنها شيء سوى اللا معنى. وسأكتفى برصد خمس ملامح لتلك المتاهة.

أولا: العلوم الاجتماعية الراسخة ذات المعنى علوم انتماء، لأنها ببساطة شديدة علوم دولة، أو للدقة علوم وطنية، مهمتها حماية الوطن والارتقاء بالمواطن، لكن ما يحدث على أرض الواقع أمر ماسخ على أقل تقدير. فقد بات مشتغلون كثر يستوردون كل شيء من الخارج، ويزيد المسخ بلة اللهاث العجيب وراء الاعتمادات الأكاديمية الأجنبية، ومعايير الأداء المقتبسة واستجداء الظهور فى قوائم التصنيف الكبرى، التى تتحكم فيها جهات نفعية تقبع وراء البحار، ناهيك عن استيراد عمالة فكرية أجنبية، قسم منها غير قادر على فهم الإشكاليات المحلية والتصدى للقضايا الوطنية. وعندما تتسبب ممارسة العلوم الاجتماعية فى مثل هذه الصور من الإيذاء فإنها تصبح علوماً بلا معنى.

ثانياً: العلوم الاجتماعية الراسخة علوم مجتمع، واجبها أن تتحداه وتستنهض تفكيره. لكن ليس من حقها أن تتجرأ عليه لتستعديه وتسخفه، وإلا فعليها السلامة. فالناس أذكياء. يراقبون كل شيء ويتابعون كل شخص، بما فى ذلك المشتغلين بالعلوم الاجتماعية، ويتحسسون بشدة لما يترامى إليهم إن هدد ثوابتهم وخالف توقعاتهم. وأبسط رد فعل يصدر عنهم عندما يجدون العلوم الاجتماعية تهدد حياة أولادهم أن يصفوها باللا معنى. وممارسات عديد من كليات العلوم الاجتماعية تشير إلى أنها بنت وعياً زائفاً لما استسلمت للإمبريالية المعرفية، فدخلت فى غيبوبة فصلتها عن مجتمعاتها وجعلتها تسرف فى إنتاج اللا معنى.

ثالثاً: العلوم الاجتماعية الراسخة ذات المعنى تنتج ما يلفت انتباه صناع القرار، وما يفهمه الناس بأبجدية يعرفونها. صناع القرار لا يحبون التقعير والتنظير وطبيعة مهامهم عملية للغاية، وهى أمور لا يتدرب عليها معظم المشتغلين بالعلوم الاجتماعية. أما عامة الناس، فالمدخل إليهم لن يكون إلا عبر آذانهم. ولهذا تهمهم مسألة اللغة. التى لا يمكن التعامل معها باستخفاف، فاللغة ليست مجرد وسيلة اتصال، وإنما مخزن كامل للوعي. وبما أن الوعى هو صناعة العلوم الاجتماعية، فإن تغييب اللغة العربية تماماً فى بعض كليات العلوم الاجتماعية وتهميشها فى أخرى، أنتج وعياً زائفاً وأفرز كثيراً من التشوهات، بل واللا معنى.

رابعاً: العلوم الاجتماعية الراسخة ذات المعنى علوم ناطقة، جريئة وشجاعة لا مكان فيها للجبناء، تحتاج إلى الشجاعة الممزوجة بالمسئولية، والمواقف الصريحة المقرونة بالاتزان، والاتجاهات المعلنة شريطة أن تكون منطقية. وهذه الشجاعة والصراحة والجرأة ليست عيوباً فى ممارسة تلك العلوم، بل إن ذلك هو طبعها. فهى علوم لا تحتمل التقية أو سد الفم، لأن التقية والسكوت فيها خيانة لا تنتج شيئاً إلا اللا معنى.

خامسًا: تبدأ العلوم الاجتماعية الراسخة ذات المعنى من الفلسفة وتنتهى إليها. لكن ما حدث بالتدريج عبر عقود فى عديد من كليات العلوم الاجتماعية العربية، أنها راحت تحت ضغط التبعية والتقليد وبمزاعم اللحاق والتجديد تنصرف عن الأصول الفلسفية لتنشغل بالأدوات على حساب الغايات. فمصيبة العلوم الاجتماعية العربية هنا أن مسيرها يختلف عن مسار العلوم الغربية التى تحاول أن تقلدها.

فعلى عكس العلوم الاجتماعية الغربية، لم تصل العلوم العربية بعد إلى غايتها، ولم تقدم شيئاً يذكر يساعد الإنسان، كما ذهب الكواكبي، على تكبير نفسه وتوسيع عقله وطلب ونيل وحفظ حقوقه، بل تخلت عن هذا كله وراحت تعطى مساحات متزايدة للأدوات والتقنيات لتعتنى بالرقمنة وبرمجيات التذاكى المصطنع، وغير ذلك من مظاهر الأتمتة التى تنذر بتحول عدد كبير من المشتغلين بها إلى ميكانيكيّ آلات ومجمعى أرقام وصناع قوالب، يركزون على مكملات المكياج العلمي، فتضيع الجذور الفلسفية للعلم الاجتماعي، وتضيع معها عملية إنتاج المعنى.

فمثلما جرى قذف المجتمعات العربية بسرعة وقسوة إلى ما بعد الحداثة دون أن تمر على مهل بالحداثة حتى تفهمها وتهضمها، يجرى قذف العلوم الاجتماعية العربية حالياً بطريقة ركيكة غير مدروسة فلسفياً إلى تطبيقات ما بعد الحداثة، ليس فقط دون أن تستوعب الحداثة أولاً، بل وحتى دون أن تتخلص من البداوة المعرفية وضيق الأفق المروع الذى ما زال مسيطراً على طريقة تفكير قطاعات ليست قليلة من المشتغلين العرب بتلك العلوم. وكل ذلك يغرقها فى إنتاج اللا معنى.

هذه الصور الخمس مجتمعة تعيدنا إلى مشكلة الانفصال بين الدال والمدلول. فعندما تنفصل كليات العلوم الاجتماعية عن رسالة العلوم الاجتماعية يضطرب وجودها، ويصبح بعضها والعدم سواء. فلا معنى للشيء إذا فقد جوهره ورسالته. وهذا ما حدث فى حقل الإنسانيات والعلوم الاجتماعية العربية. فبدلاً من أن تقوم مؤسساتها بشرح وتوضيح ونقد وتصحيح المعني، راح بعضها يهذى وينتج، بل ويعيد إنتاج اللا معنى. ولا بد من التماس بعض العذر لتلك المؤسسات؛ لأنها فى نهاية الأمر ليست إلا جزءًا صغيراً من مجتمع أكبر ينتج بدوره كل يوم كثيراً من اللا معنى.

فلدينا مجتمعات عربية ينادى الناس فيها السباك بالدكتور، وميكانيكى السيارات بالباشمهندس، والضابط بالباشا، والمشاغبين بالنشطاء، ومثيرى الفتن بالمؤثرين، وناشرى التفاهة بصناع المحتوى، ويجاملون العاطل فيسمونه self-employed، والحبل على الجرار فى فصل الدال عن المدلول وقتل المعنى، ليسمى الانقلاب ثورة، والقهر حرية، والديكتاتورية مشاركة، والسرقة إعادة هيكلة، والاحتكار خصخصة، والتغريب حداثة.

وبنفس هذا التناقض بين الدال والمدلول فى المجتمع الكبير، يتسابق مجتمع الإنسانيات والعلوم الاجتماعية العربية فى تعميق التناقض بين دالاته ومدلولاته ليغرق الساحة باللا معنى بطرق وأشكال مختلفة، من بينها بعض الدرجات العلمية التى تكشف شخصيات من يحملها عن خلوها من المعنى. وأطروحات عديدة تسمى مجازاً "علمية" لكن عناوينها وخططها وبنيتها ومضمونها ومنهاجيتها واستخلاصاتها تكشف عن غرقها فى اللا معنى. ومشروعات تخرج عبثية يوضع عليها اسم الطلاب، لكن جهات مشبوهة تقبع تحت بئر السلم، هى عادة ما تقوم بها، ما يكرس فى ذهن الطلاب صورة معيبة عن العلم، وأنه بأكمله نشاط بلا معنى.

وأمية منهجية مطبقة تؤكد الغياب التام للمعنى، إلى جانب سرقات علمية وعبوديات أكاديمية يستغل القوى فيها الضعيف، وترجمات حرفية عن صفحات أجنبية لموضوعات لا علاقة لنا بها، ناهيك عن لى عنق نظريات مستعارة يتم إنزالها على واقع ليس لها وليست منه، لتخرج عنها فى النهاية توصيات بلا معنى.

قولوا لى مثلاً ما قيمة نظرية العقد الاجتماعى التى تفترض أن الدولة تشكلت بتوافق إرادى حر بين الأفراد، بينما تكونت الدول العربية إما نتيجة القهر الاستعمارى أو بالاستيلاء كما وصفه الماوردى فى الأحكام السلطانية. قد تكون نظرية العقد الاجتماعى قيمة فى سياقها الأوروبي، لكنها بلا معنى فى السياق العربي. أو قولوا لى ما المعنى الذى تقدمه نظرية الحراك الاجتماعى الغربية التى تؤكد على أن الفرد فاعل مستقل، بينما المجتمعات العربية ما زالت تعتمد على القبيلة والأسرة والجماعة فى صناعة الهوية واتخاذ القرار، أو حدثونى عن نظرية الدولة القومية التى تجعل من الدولة عنواناً للحداثة، وتقدمها على أنها الإطار الطبيعى للتنظيم السياسي، بينما ما يزال الدين والطائفة والمذهب فى المجتمعات العربية يشكلون عناصر محورية فى الحياة العامة والخاصة على السواء.

هذه مجرد نماذج لإنتاج اللا معنى، أو للعدمية الأكاديمية إن شئتم، التى يجب ألا نكابر فننكرها، وإنما علينا أن نتواضع ونعترف بوجودها حتى نتمكن من مواجهتها؛ ونسأل أنفسنا لماذا اتسع إنتاج اللا معنى؟

اتسع فى تقديرى لأسباب كثيرة أهمها تضخم ظاهرة اللا منتمين إلى العلوم الاجتماعية.

اللا منتمون

فاللا منتمون تعنيهم الأرقام قبل الأفهام. وهم، وأنقل هنا عن كولن ويلسون فى كتابه «اللا منتمي» أو The Outsider أناس يخافون بشدة على أنفسهم من الجماعة التى وجدوا أنفسهم يعيشون وسطها، لأنهم يعتقدون أن تلك الجماعة لا قيمة لها، بل وتستند إلى أساس واه وربما تكون مجرد محطة مؤقتة فى حياتهم، ما يجعلهم يفضلون التفاعل القشرى مع همومها وعدم الاندماج فى نسيجها أو مشاركة القضايا التى تعنيها. فاللا منتمون يؤمنون بأن حياتهم أهم من كل من وما حولهم.

هؤلاء اللا منتمون هم تماماً كمن وصفهم الفيلسوف زكى نجيب محمود ببقعة زيت تطفو على وجه الماء لتعكر صفحة العلم وتنشر التلوث، وتنتج اللا معنى. وهم ليسوا كتلة واحدة وإنما شرائح مختلفة أعرض من بينها وبسرعة لعشر فئات تشمل:

١) الأكاديميون البيروقراط، ويعتبرون أن الاشتغال بالعلوم الاجتماعية وظيفة توفر مصدراً للدخل وموقعاً لكسب الوجاهة الاجتماعية.

بقلم: د. إبراهيم عرفات

(تنويه:- نشر هذا المقال كاملاً على موقع جريدة المشهد فى جزءين وهذه نسخة مختصرة منه)

٢) الدخلاء البينيون، ممن التحقوا بالعلوم الاجتماعية بدعاوى التكاملية والبينية ووحدة العلوم، دون أن يمضوا وقتاً كافياً فى تعلم أصولها وفلسفتها.

٣) النفعيون وأكاديميو البيزنس، الذين يتخذون من العلوم الاجتماعية سبيلاً للتكسب سواء ببيع الكتب الجامعية لأعداد غفيرة من الطلاب أو بغيرها.

٤) الأكاديميون السواحون الذين لا يستطيعون أن يطوروا انتماءً وهم ينهون عقداً فى جامعة، ليوقعوا عقداً جديداً فى جامعة أخرى. يتحركون كأنهم سلع ولا يخضعون لقانون غير قانون العرض والطلب.

٥) المؤدلجون، الذين حولوا كليات العلوم الاجتماعية إلى منصات دعائية، يعتليها ناشطون يبرعون فى الدوجماطيقية والتنمر المعرفي.

٦) الناقلون المقلدون، ممن يتبنون بلا وعى محلى النظريات والاقترابات الغربية دون تدقيق فى مواءمتها للسياق الوطني.

٧) القافزون من الخارج، ويضمون بعض من أتى إلى مؤسسات العلوم الاجتماعية العربية ليعيشوا فى أبراجها العاجية المريحة مستفيدين من تراث استعمارى قديم يغرس المركزية الغربية.

٨) أكاديميو السلطة والرقباء الأمنيون، ممن يسخّرون مواقعهم الجامعية وأدوات الإدارة لإعادة إنتاج الهيمنة، وهم أكبر من ينتج اللا معنى، بل وقتل معنى العلوم الاجتماعية فى الصميم.

٩) العدميون المقعرون، ممن يتعمدون التشدق اللفظى والغموض اللغوى والتفاصح البلاغى ظناً أن ذلك يعمق المعرفة ويمنحهم سلطة على التخصص.

١٠) المتعجلون المختزلون، الذين يبسّطون الظواهر الاجتماعية إلى حد التفاهة دون النظر فى تعقيداتها، أو يوجهون طلابهم إلى موضوعات هشة ، لا تنتج سوى أكواماً من الأبحاث التى تنهشها الأتربة على رفوف المكتبات.

هذا المدى الواسع من اللامنتمين أوقع العلوم الاجتماعية العربية إما فى فخ التبعية لفكر مستورد، أو فى شراك ممارسات هزلية تقنع بأشباه المعرفة تخرّج أشباه متعلمين.

فشل على فشل

وعند هذه النقطة أشير إلى أنه تمتلئ المنطقة بدول فاشلة ورخوة وهشة وحائسة وبأشباه دول، بل ودول شبهة، تخوض العلوم الاجتماعية العربية فى ممارسات فاشلة ورخوة وهشة وحائسة ومشبوهة لا ينتج عنها معنى. وبدلا من أن تشارك تلك العلوم فى بناء قوة الدولة تحولت إلى شاهد على ضعفها. ولتوضيح التشابه بين الجانبين، أكتفى بالإشارة إلى أن الأزمات الخمسة التى تعانى منها الدولة العربية هى نفس ما تعانى منه العلوم الاجتماعية العربية والمعاهد القائمة على أمرها.

فالدولة العربية لم تتغلب أولاً على أزمة الهوية لكى تصبح وطناً يصبغ الجميع بصبغة واحدة. وبالمثل تعانى العلوم الاجتماعية العربية من أزمة هوية، تتبدى فى الفجوات العميقة بين القائمين بها وفى اغترابهم وعزلتهم عن بعضهم وفى عجزها عن إنتاج خطاب علمى يكوّن تياراً رئيسياً من المشتغلين بها.

وتعانى الدولة العربية ثانياً من أزمة شرعية جعلتها تفتقر إلى الرضاء الشعبى والقبول المجتمعي. وكذلك تعانى العلوم الاجتماعية بدورها من أزمة شرعية، ينقصها الاعتراف العام بجدارتها وقيمتها ناهيك عن عدم أخذها بجدية فى صنع السياسات. كما تتبدى تلك الأزمة فى ضعف مستوى إقبال الجمهور على إنتاجها.

وتواجه الدولة العربية ثالثًا أزمة توزيع يعكسها غياب العدالة فى تقاسم الثروة والسلطة. والعلوم الاجتماعية كذلك فهى إلى الآن علوم عواصم وحواضر كبرى جغرافياً. أما مالياً فالقياس مع غيرها من العلوم لا ينصفها.

وتعجز الدولة العربية رابعًا عن حل أزمة التغلغل. فكثير من الدول العربية غير حاضر إلى الآن فى كل ركن جغرافى من أركانها ولا فى ذهن كل مكون من مكوناتها السكانية. والعلوم الاجتماعية كذلك، عجزت عن أن تتغلغل وتستقر بمعانيها الفلسفية العميقة فى ذهن المشتغلين بها أنفسهم، فما بالنا بذهن الجمهور المستهدف منها.

وخامسًا تهدد الدولة فى العالم العربى أزمة تكامل أفضت إلى اندلاع حروب أهلية، انتهت بتفكك بعض الدول وتهديد بعض آخر منها بنفس المصير. والعلوم الاجتماعية العربية تعيش أزمة تكامل يعكسها غياب الحوار والميل إلى الانعزال التخصصي، والدخول فى استقطابات فكرية ولغوية، كما تتجلى فى معاناتها من التجزئة المفاهيمية وغياب المنهجية وقلة الدراسات البينية عدداً وأثراً.

هذه الأزمات الخمس، وكما أحالت الدولة فى العالم العربى إلى تكوين ينتج كثيراً من اللا معنى يعج بالساكتين والمنسحبين والفارين واللاجئين واللا منتمين، تحيل العلوم الاجتماعية العربية بدورها إلى ساحات تزخر باللا منتمين من منتجى اللا معنى؟ ساحات ينفصل فيها الدال عن المدلول والكلمات عن المعانى بطريقة لا تختلف كثيراً عما بدر من ذلك المشجع الإنجليزى الذى أوحت طريقة نطقه لاسم (صلاح) بـ(صلاه) بأنه يتشوق للصلاة بينما كان يتحرق من أجل لفت انتباه لاعب كرة.

اللامنتمون في العلوم الاجتماعية مثل بقعة زيت تطفو على وجه الماء لتعكر صفحة العلم وتنشر التلوث وتنتج اللا معنى

المشهد
العدد 339 – السنة الرابعة عشرة -الأحد 25 مايو 2025 م الموافق 27 ذو القعدة 1446 هـ

قالت العرب

وأنت تعود الي البيت، بيتك، فكر بغيرك...
(لا تنس شعب الخيام)
وأنت تنام وتحصي الكواكب، فكر بغيرك...
(ثمة من لم يجد حيزا للمنام)
وأنت تفكر بالآخرين البعيدين، فكر بنفسك...
(قل: ليتني شمعة في الظلام)

شراكة استراتيجية أم خروج عن الدور الروحي؟ دعم أم تبعية؟

أسرار العلاقة المعقدة بين الكنيسة القبطية والدولة

منذ ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، أصبح دور الكنيسة فى الحياة السياسية المصرية أكثر وضوحًا، فى القضايا الاجتماعية والسياسية التى تخص الأقباط، وفى هذا التحقيق تحاول "المشهد" الإجابة على أسئلة تشغل الكثيرين حول العلاقة بين الكنيسة والحكومة وتأثير الكنيسة القبطية على الحياة السياسة، وهل تتجاوز بذلك دورها الروحى لتلعب دورًا مؤثرًا فى الشأن العام؟

كانت ثورة الخامس والعشرين من يناير حدثًا فارقًا فى تاريخ الأمة المصرية، وشهد المجتمع بعدها تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية كبرى من بينها زيادة مساحة التعاون بين الدولة والكنيسة، عبر دعم الكنيسة بشكل واضح لرئيس الجمهورية الحالى عبدالفتاح السيسي، فى انتخابات ٢٠١٤، ودعوة الكنيسة لأتباعها إلى المشاركة بكثافة فى الانتخابات. هذا التداخل بين الكنيسة والسياسة لقى ترحيبًا من بعض الأقباط بوصفه خطوة نحو استقرار البلاد، وحماية لهم من التهميش، بينما رأى آخرون أن الكنيسة بهذا التدخل تفقد حيادها الروحي.

العلاقة الحالية مع الدولة من أفضل المراحل التى مرت بها الكنيسة منذ عام ١٩٥٢م

الأب بولس عوض: دورنا كرجال دين تقديم الإرشاد الروحي، ولكن لا يمكننا تجاهل واقع سياسى يؤثر على حياتنا اليومية

ماركو الأمين: الكنيسة ليست معنية بصياغة القوانين، ولكنها مسؤولة عن ضمان حياة أفضل لأبنائها

الكاهن ميخائيل الأنطوني: يجب أن تظل محايدة. ولا ينبغى لنا أن نكون جزءًا من صراعات السياسة

دعم الاستقرار

المتابع للمواقف السياسية للكنيسة المصرية فى السنوات الأخيرة يجد أنها تركز على دعم الاستقرار السياسى أكثر من أى شيء آخر، وتعتبر الحكومة الحالية، ممثلة فى الرئيس السيسي، هى الأقدر على ضمان استقرار البلاد ومصالح الأقباط. فى انتخابات ٢٠١٨، عادت الكنيسة لتؤكد دعمها للرئيس السيسي، ودعت الأقباط للمشاركة المكثفة، معتبرة أن استقرار الدولة يعود بالنفع على الجميع.

وهذا الأمر لا يعنى أن الكنيسة كانت بعيدة عن الحياة السياسية فى مصر بشكل كامل فى العهود السابقة، فمنذ عقود، تعتنق الكنيسة المصرية مواقف سياسية مدافعة عن حقوق الأقباط، سواء كان ذلك فى مواجهة التمييز، أو فى دعم القوانين التى تضمن حقوقهم. وبعد ٢٠١١، قدمت الكنيسة مطالب فى مجالات متعددة، مثل: الحق فى بناء الكنائس، وتعديل قوانين الأحوال الشخصية للأقباط.

وأكد البابا تواضروس فى أكثر من مناسبة، على أحقية الأقباط فى بناء الكنائس، على قدم المساواة مع المسلمين. وهو ما استجابت له الحكومة المصرية عبر قانون بناء الكنائس فى عام ٢٠١٦، والذى عدّ خطوة مهمة، نحو حل المشكلة المزمنة التى كان يواجهها الأقباط فى بناء دور العبادة.

ترقب وانتظار

كما كانت هناك مطالبات كنسية بضرورة تعديل قانون الأحوال الشخصية للأقباط، الذى كان محل جدل طويل؛ بسبب تعقيداته، وقلة خياراته فى حالات الطلاق والزواج المدني. وبالفعل، بدأ البابا تواضروس فى ممارسة ضغوط أكبر على الحكومة، لتغيير هذا القانون بما يتناسب مع تطلعات الأقباط. لكن رغم الجهود المبذولة، لم يتم التوصل إلى حل شامل لهذه القضية حتى الآن، مما يترك الأقباط فى حالة من الترقب والانتظار.

علاقة معقدة

تُعتبر العلاقة بين الكنيسة والحكومة المصرية من العلاقات المعقدة، حيث تميل الكنيسة فى الكثير من الأحيان إلى تأييد الحكومة، خصوصًا إذا كان ذلك يخدم مصالح الأقباط. بعد ثورة ٢٠١١، تحولت هذه العلاقة إلى ما يمكن أن يُطلق عليه "الشراكة" بين الكنيسة والدولة.

شراكة قائمة على المصالح المشتركة إذ تسعى الكنيسة إلى ضمان حماية حقوق الأقباط، وفى المقابل تسعى الحكومة إلى الاستفادة من الدعم الشعبى الذى تقدمه الكنيسة. وقد تجلى هذا التعاون فى عدة مناسبات، مثل: دعم الكنيسة للقيادة السياسية فى أوقات الأزمات، ومنها دعم السيسى فى انتخابات ٢٠١٤، والتأييد القوى للسياسات الحكومية فى مجال الأمن والإصلاحات الاقتصادية.

لكن هذا التعاون لم يكن يخلو من التحديات. فالبعض يرى أن الكنيسة قد تكون قد تخطت حدود دورها الروحي، بتدخلها القوى فى القضايا السياسية، معتبرين أن الكنيسة يجب أن تظل محايدة، مع التأكيد على أهمية عدم الخلط بين الدين والسياسة. هذا الموقف يعكس انقسامًا داخل المجتمع القبطي.

انقسام كنسي

تتنوع آراء رجال الدين داخل الكنيسة القبطية حول دور الكنيسة فى السياسة. بعضهم يعتقد أن الكنيسة يجب أن تكون فاعلة فى الشأن السياسي؛ لضمان حماية حقوق الأقباط، بينما يفضل آخرون البقاء بعيدًا عن السياسة، والتركيز على الدور الروحى فقط.

فى هذا السياق، يقول الأب بولس عوض، أحد الكهنة فى القاهرة: "إن دورنا كرجال دين هو تقديم الإرشاد الروحي، ولكننا لا يمكننا تجاهل الواقع السياسى الذى يؤثر على حياتنا اليومية. الأقباط يحتاجون إلى دعمنا، خاصة فى الأوقات الصعبة".

أما الأب ميخائيل الأنطوني، كاهن آخر، فيرى أن "التدخل فى السياسة يجب أن يكون حذرًا، وأن الكنيسة يجب أن تظل محايدة. نحن نمثل رسالة الله، ولا ينبغى لنا أن نكون جزءًا من صراعات السياسة".

مخاوف داخلية

اشتباك الكنسية مع السياسة يثير مخاوف بعض رجال الكنسية أيضًا بسبب خشيتهم من أن يؤدى الانخراط السياسى إلى إضعاف دور الكنيسة الروحي، ويبعدها عن رسالتها الأساسية. هو ما يشير إلى وجود انقسامات داخل الكنيسة نفسها حول كيفية إدارة هذه العلاقة مع السياسة.

وفى هذا الصدد يقول ماركو الأمين، الباحث فى التاريخ الكنسى ومؤسس مبادرة "هيستوريا" للتاريخ المسيحي: "من وجهة نظري، الدور المفترض أن تلعبه الكنيسة فى الشأن العام لاهوتى لا يقتصر على جانب واحد؛ بل ينقسم إلى ثلاثة أدوار متكاملة: دور أخلاقي، ودور كرازي، ودور خدمى أو مجتمعي. الدور الأخلاقى يتمثل فى أن تكون الكنيسة صوتًا للحق، والعدل، والحرية، والسلام، فى المجتمع المحيط بها، وهو جزء أصيل من رسالتها. أما الدور الكرازي، فيرتبط بالتبشير بالرسالة المسيحية، والإيمان بالمسيح يسوع، سواء للمؤمنين أو لغير المؤمنين. بينما الدور الخدمى يشمل مسؤوليتها تجاه المجتمع بكافة أطيافه، دون تمييز دينى أو اجتماعي، من خلال تقديم الدعم للمحتاجين، والسعى لسد احتياجاتهم؛ وهو ما يجعل الكنيسة فعلاً 'أمًّا' للجميع".

ويضيف الأمين: "إذا كانت الكنيسة ينبغى أن تتدخل فى السياسة لحماية الأقباط، فالأمر يتوقف على تعريفنا للسياسة. إذا كنا نتحدث عن السياسة باعتبارها صياغة الأطر العامة التى تنظم علاقة المواطنين ببعضهم البعض، فالكنيسة ليست منوطة بهذا الدور، ولا يجب أن تتدخل فى تقديم القوانين أو فى العمل السياسى المباشر، حتى لو كان ذلك بدعوى حماية الأقباط".

ويوضح: "بما أن الكنيسة باتت مؤسسة تتعامل مع الدولة، وهو أمر فرضه التاريخ منذ القرن الرابع الميلادى وحتى اليوم، فلا يمكنها أن تتجاهل وجود نوع من التوازنات السياسية، لا بهدف فرض الرؤى أو الهيمنة، وإنما بهدف ضمان حياة أفضل لأبنائها، وربما أيضًا للمجتمع ككل. مضيفًا أنه من المهم ألا يتعارض هذا الحضور مع دور الكنيسة الأخلاقى كصوت للحق".

وتابع: "العلاقة الحالية بين الكنيسة والدولة، هى من أفضل المراحل التى مرت بها الكنيسة منذ عام ١٩٥٢؛ بل ربما الأفضل على الإطلاق، حتى بالمقارنة مع فترة الصداقة التى جمعت بين البابا كيرلس السادس وجمال عبد الناصر. مشيرًا إلى أننا أمام مستوى عالٍ من التعاون، يتسم أيضًا بنوع من التبعِية.

ويؤكد أنه لا يمكن إنكار أن الكنيسة الآن تتماشى مع الخط العام للدولة، وهذا طبيعى كمؤسسة لها مصالح، لكنها لا تُفرض بالضرورة على الكنيسة؛ لأن هناك احتمالاً كبيرًا أن يكون رجال الدين أنفسهم مقتنعين بالرؤية التى يتم التعبير عنها".

ويشير إلى أن: "مشاركة الكنيسة فى تشجيع الأقباط على التصويت فى الانتخابات، أمر إيجابى من وجهة نظري. الأقباط عانوا من العزلة طويلا، ومن المهم أن تحثهم الكنيسة على الاندماج الكامل كمواطنين، لهم حقوقهم السياسية مثل أى فئة أخرى فى المجتمع. مضيفًا أنه ما يرفضه هو قيام الكنيسة بتوجيههم لاختيار مرشح بعينه. دورها ينبغى أن يقتصر على الدعوة للمشاركة، دون توجيه سياسى صريح".

وعن قانون الأحوال الشخصية، يقول الأمين: "الدولة استجابت لمطالب الكنيسة القبطية بشكل جيد فى هذه المسألة. صحيح أن هناك بعض التباطؤ فى بعض المراحل، لكن هذا يعود جزئيًا إلى التعديلات والاعتراضات. موضحًا أن الكنيسة الآن لديها وضع قانونى مقنن أفضل بكثير. ومع ذلك، نحن بحاجة إلى قانون أحوال شخصية مدنى يُطبّق على المصريين جميعًا، لمن يرغب فى اللجوء إليه".

ويضيف: "فى عهد البابا تواضروس، قامت الكنيسة بخطوات مهمة لتحسين أوضاع الأقباط على المستوى المؤسسي، لكنها لا تزال بحاجة إلى هيئات قانونية داخلية قوية، ليس فقط لمعالجة قضايا الأحوال الشخصية، وإنما للمساهمة فى بناء رؤية قانونية عامة للكنيسة، بوصفها مؤسسة داخل الدولة".

مشروعات خدمية

ويردف ماركو الأمين: "الكنيسة تحتاج أيضًا إلى التوسع فى مشروعاتها الخدمية داخل مصر. هناك برامج تنموية قوية تطبقها الكنيسة فى إفريقيا، لكن على المستوى المحلي، البرامج لا تزال بحاجة إلى تطوير ومزيد من الفاعلية".

وبشأن الجدل داخل الكنيسة حول الانخراط فى الشأن السياسي، يعلّق الأمين: "الانقسام فى الرأى داخل الكنيسة حول هذا الملف أمر طبيعى وصحي. ليس من المفترض أن تكون الآراء موحدة، خاصة أن مفهوم السياسة نفسه يختلف من شخص لآخر، وكذلك رؤية كل طرف لدور الكنيسة ومكانتها".

ويكشف الأمين أنه: "من حيث المبدأ، لا يُفترض بالكاهن أن يكون له رأى سياسي، فالقانون الكنسى والروحى يمنع الإكليروس من الانخراط فى أى عمل سياسي. لافتًا أنه فى الواقع عبر عدد من الكهنة عن مواقف سياسية فى مراحل سابقة، وشاركوا فى حركات سياسية".

ويشير: "إلى أن الوضع حاليًا، أصبح أكثر انضباطًا. معربًا عن أمله فى أن يكون هناك حوار داخلى أوسع داخل الكنيسة، يشمل البطريرك، والأساقفة، والعلمانيين، والباحثين؛ لأن هذا النوع من الحوار هو ما يثرى التجربة الكنسية، والبابا تواضروس قام بذلك أكثر من مرة ضمن إمكانياته".

فى الختام الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تعد واحدة من المؤسسات الدينية الأكثر تأثيرًا فى مصر، لكن هذا التأثير يتجاوز الجوانب الروحية ليشمل السياسة أيضًا. العلاقة بين الكنيسة والدولة فى مصر مملوءة بالتحديات والفرص، وكلما زاد تداخل الدين بالسياسة، زادت الأسئلة حول الحدود بينهما. وفى النهاية، تبقى الكنيسة مؤسسة دينية، يجب أن تحترم سياساتها الاجتماعية، مع الحفاظ على حيادها الروحي؛ لتكون مساحة آمنة ومؤثرة للأقباط.

تحقيق – مادونا شوقي

وصِفت بأنها قادرة على قلب موازين القوى فى الشرق الأوسط.

«نسور ٢٠٢٥»: مناورات مصرية صينية تربك حسابات إسرائيل

اللواء سمير فرج: المناورات مع الصين تؤكد استقلالية القرار المصرى سياسيًا وعسكريًا

العميد خالد فهمي: من المرجح زيادة تعاون البلدين عبر إرسال البعثات والمشاركة فى التصنيع العسكري

جميل عفيفي: أظهرت قدرات الجندى المصرى على التعامل مع أسلحة مختلفة ومدارس عسكرية متنوعة

إبراهيم الدراوي: التعاون يأتى فى إطار استراتيجي؛ لتدعيم القدرات الدفاعية لمصر وتعزيز الأمن والاستقرار فى الشرق الأوسط

أثارت المناورات العسكرية المشتركة بين مصر والصين، المعروفة باسم «نسور الحضارة ٢٠٢٥»، قلقًا واسعًا داخل الأوساط الإسرائيلية، باعتبارها تحولاً استراتيجيًا فى خريطة التحالفات العسكرية بالشرق الأوسط، فى ظل التوترات المتزايدة بالمنطقة، وعبَّر العديد من الخبراء العسكريين الصهاينة عن قلقهم، من التأثير المحتمل لهذه المناورات على ميزان القوى فى الشرق الأوسط.

استقلالية القرار

فى هذا الصدد أكد اللواء سمير فرج الخبير الاستراتيجي، أن قلق الاحتلال الصهيونى من المناورات العسكرية، يعود إلى تعاون مصر مع دولة قوية، ولها تأثير كبير فى المنطقة. موضحًا أن المناورات لها تأثير إيجابى على توازن القوى فى المنطقة؛ حيث تجعل الجيش المصرى أكثر قوة وخبرة وكفاءة.

وأشار فرج إلى أن مصر بعثت من خلال هذه المناورات مجموعة من الرسائل من ضمنها سعيها لتعزيز قدراتها العسكرية، وتطوير علاقاتها مع دول أخرى، مضيفًا أن هذه الخطوة تعكس استقلالية القرار المصري، وعدم تبعية مصر لأى دولة فى قراراتها العسكرية والسياسية.

ولفت إلى أن هذه المناورات تُظهر قدرة مصر على تنويع مصادر تسليحها وتدريباتها العسكرية؛ مما يدعم مكانتها كقوة إقليمية مؤثرة.

وأردف أن التعاون المستقبلى بين مصر والصين، يمكن أن يكون فى مجالات التدريب، والتصنيع العسكري، وشراء السلاح.

تصنيع عسكري

فيما أشار العميد خالد فهمى الخبير الاستراتيجي، إلى أن قوة مصر وثقلها وتاريخها المشرف، بالإضافة إلى تصنيف القوات المسلحة المصرية عالميًا، يجعل من هذه المناورات خطوة مهمة، تثير قلق إسرائيل.

وأكد أن التعاون العسكرى بين مصر والصين، يمكن أن يزيد من خلال زيادة البعثات العسكرية، والتبادل المعرفي، والمشاركة فى التصنيع العسكري.

وأضاف فهمى أن هذه المناورات تعكس التزام مصر بتعزيز قدراتها العسكرية، وتحسين كفاءتها القتالية؛ مما يسهم فى حماية الأمن القومى المصرى والاستقرار فى المنطقة. موضحًا أن التعاون العسكرى بين مصر والصين، يزيد من فرص تبادل الخبرات، والتدريبات المشتركة؛ مما يسهم فى رفع مستوى الجاهزية القتالية للقوات المسلحة المصرية.

إثارة القلاقل

من جانبه، أشار الكاتب الصحفى جميل عفيفي، الخبير فى الشأن الفلسطينى والإسرائيلي، إلى أن إسرائيل تسعى دائمًا لإثارة القلاقل مع كل تدريب عسكرى مصري، معتبرًا أن هذه المناورات تعكس تطور القوات المسلحة المصرية، وتثير تخوفات إسرائيلية من زيادة القدرة العسكرية المصرية.

وكشف عفيفى أن هذه المناورات ترسل رسائل متعددة؛ أهمها: أن مصر دولة تقيم علاقات متوازنة مع كل القوى الفاعلة فى النظام العالمي، وأن قواتها المسلحة على أعلى درجة من التدريب والتسليح.

وأضاف: هذه التدريبات تنقل الخبرات للمقاتل المصري، وتظهر قدرته على التعامل مع الأسلحة المختلفة، والمدارس العسكرية المتنوعة.

تنوع السلاح

وأكمل عفيفى أن مصر هى القوة الأولى فى الشرق الأوسط؛ بفضل نظم التسليح المختلفة، والخبرات القتالية، وهذه التدريبات العسكرية المشتركة تضيف خبرات قتالية جديدة.

وأوضح عفيفى أن هناك تعاون عسكرى بين مصر والصين، يمتد إلى ما هو أبعد من التدريبات العسكرية المشتركة، مشيرًا إلى أن سياسة تنوع السلاح المصري، جعلت أمامها العديد من الدول الكبرى فى مجال تكنولوجيا التسليح، والعمل على نقل تلك التكنولوجيا وتوطينها فى مصر.

ولفت إلى أن المصلحة الوطنية فى ظل منطقة مشتعلة، تحتم على مصر اكتساب خبرات قتالية، وأحدث أنواع التسليح؛ للحفاظ على الأمن القومى ومكتسبات الشعب.

مناورات استراتيجية

فيما يرى الخبير فى الشأن الفلسطينى والإسرائيلى إبراهيم الدراوى أن المناورات العسكرية المصرية الصينية «نسور الحضارة» تعكس متانة العلاقات العسكرية بين البلدين، وتأتى فى إطار استراتيجي؛ لتعزيز القدرات الدفاعية لمصر.

أهداف المناورات:

- تعزيز التعاون العسكرى بين مصر والصين.
- تحسين القدرات القتالية للقوات الجوية.
- تبادل الخبرات، وتوحيد المفاهيم التشغيلية.

أهمية المناورات:

- تعكس مستوى جديدًا من التعاون العسكرى بين مصر والصين.
- تعزز القدرات العسكرية المصرية.
- تظهر قدرة مصر على مواجهة التحديات الأمنية.

تأثير المناورات:

- تعزيز القدرات العسكرية المصرية.
- زيادة كفاءة القوات الجوية.
- قد تؤدى إلى صفقات تسليح جديدة، وتعزيز قدرات مصر العسكرية.

مستقبل التعاون العسكري:

- توقعات بتوسع التعاون العسكرى بين مصر والصين.
- مشروعات مشتركة فى مجال التكنولوجيا العسكرية.
- تعزيز التعاون فى مجالات الأمن السيبرانى والدفاع الجوي.

كتب - إبراهيم خالد

المشهد
العدد 339 – السنة الرابعة عشرة -الأحد 25 مايو 2025 م الموافق 27 ذو القعدة 1446 هـ

قالت العرب

"والآن أشهد أن حضورك موت وأن غيابك موتان
والآن أمشي على خنجر وأغني...قد عرف الموتِ أني أحبك
أني أجدد يوماً مضى ... لأحبك يوماً وأمضي..."

العولمة وتحدي السيادة:

صراع يُعيد تشكيل العدالة الاجتماعية

بين مطرقة السيادة وسندان العولمة؛ توجد معركةٌ على جسد الإنسان الحديث، والدولة هى اختراع الإنسان لتحقيق العدالة، لكنها أداةٌ قد تُكسَر أو تتحول إلى شظايا إن استسلمت لقوىً تبتلع سيادتها فتُعيد تشكيل مصائرنا، بهذا التنبُؤ المُقلق لخص الفيلسوف الفرنسى مونتسكيو إحدى الإشكاليات التى يُخيِّم شبحُها اليوم على عصرنا أكثر من أى وقتٍ مضى، حيث الصراع بين سيادة الدولة كحصن منيع ضامن للحقوق وتوزيع الثروات، وقوى العولمة الجارفة التى تعيد رسم الخرائط بتعريفات جديدة للحدود والهُويات مع إعادة توزيع الأدوار على فواعل جديدة.

فلم تعد العولمة مجرد تبادل تجارى أو ثقافي، بل تحولت إلى إعصار يقتلع جذور المفاهيم الراسخة؛ شركاتٌ عملاقة ونيوليبرالية جديدة، تتحكم فى اقتصادات دولٍ بأكملها، بينما تُعيد الخوارزميات تشكيل وعى المواطن قبل أن تُعيد الحكومات تشكيل سياساتها، والمؤسسات المالية الدولية تفرض شروطها كما لو كانت قوانينَ سماوية، وحتى الموارد الطبيعية لم تعد ملكاً لأصحابها، بل سُلعةً فى سوقٍ يتحكم فيه لوبيات الاستثمار العالمي..

وفى قلب هذا الإعصار، تُطرَح أسئلةٌ مُلِحَّة تُلامس صميم وجودنا؛ كيف تُحافظ الدولةعلى دورها كحامية للعدالة الاجتماعية فى عالم تُسيطر فيه "اليد الخفية للسوق" على مقدَّرات الشعوب؟ وهل يُمكن للأمن الاقتصادى أن يصمد أمام إغـراءات الشـركات العابرة للقـارات، التى تتنقل بين الـدولِ كما تتنقل بين تطبيقات الهاتف؟ وأخيـراً، ما مصير دول الجنوب – من نيجيريا إلى بنغلاديش – التي تُشبه ساحات مفتوحة لهذا الصراع، حيث تُستنزف مواردُها تحت شعارٍ "الانفتاح"، بينما تزداد هوةُ اللامساواة عمقاً؟

هـذه ليست مجرد أزمـة سياسـية أو اقتصادية، بل اختبارٌ لماهية الإنسان ذاته؛ هل سيظل المواطن سيداً لقراره، أم سيتحول إلى رقم فى معادلة خوارزمية، أو عميل استهلاكى فىً سوق بلا ضمير؟وهنا فى هذاً الاشتباك بين السيِّادة كحق مقدس والعولمة كواقع لا يرحم، تُولد أسئلة القرن الحادى والعشرين المصيرية.

الفصل الأول، الدولة الحديثة.. بين ميثاق وستفاليا ومُثل العدالة

فى عام ١٦٤٨، مع توقيع معاهدة وستفاليا التي أنهت حروباً دينية دمَّرت أوروبـا، وُلد كيانٌ سياسى غيَّر وجه التاريخ؛ هو الدولة القومية الحديثة، فلم تكن تلك المعاهدة مجرد اتفاق سـلام، بل كانت وثيقة ميلاد نظام عالمى جديد، قائم على سيادة مطلقة داخل حدود جغرافية واضحة، وهكذا تحوَّلت الدولة إلى حارس شرعى للعنف، وفق ماكس فيبر، وإلى أداة لتحقيق "العقد الاجتماعي" الذى تحدث عنه جان جاك روسو، حيث تمنح الدولة مواطنيها الأمن والعدالة، ويمنحونها فى المقابل شرعيتها وولاءهم.

لكن هذه الصورة المثالية لم تكن مُجرَّدةً أبداً، خاصة فى دول الجنوب العالمي، ففى مصر بعد ثـورة ١٩٥٢ التـى أنهـت الحكم الملكى المتخندق مع المصالح البريطانية، لم تكن مصر تُقاتل فقط لطرد المستعمر، بل لإعادة تشكيل عقدها الاجتماعى من الصفر، تحت شعـار "العدالةِ الاجتماعية"، فقاد جمال عبد الناصر ثورةً مزدوجة؛ من تحرير الأرض باستخدام العدالة الاقتصادية كسلاح ضد التبعية، وبناء دولة الرعاية الاجتماعية، وهنا كانت السيادة الوطنية تعنى التحرر من الاستعمار وبناء العدالة الداخلية. ولكن.. لماذا انحرفت المسيرة؟

فكما الهند وجنوب أفريقيا، واجهت مصر تناقضات العقد الاجتماعي؛ وتحوَّل القطاع العام من أداة للتنمية إلى بيروقراطية فاسدة، تُدار لخدمة النخب الجديدة بدلاً من الشعب، ثم أعادت سياسات الانفتاح الاقتصادى فى السبعينيات، إنتاج الاستعمار عبر بوابة الاستثمار، فبيعت شركات القطاع العام لرأسماليين محليين وأجانب، بينما تراجعت خدمات الصحة والتعليم، ووفقاً لتقرير البنك الدولى (٢٠٢٣)، يعيش ٦٠٪ من المصريين على أقل من ٣ دولارات يومياً، بينما تُهرب الشركات متعددة الجنسيات ٤٥ مليار دولار سنوياً عبر التهرب الضريبي.

ومع انهيار جدار برلين وانزياح القطب الأوحد فى التسعينيات، بدأ زلزال العولمة يهز أركان هذا النموذج، فلم تعد الدولة القومية – خاصة فى الجنوب العالمى – سيدة قرارها الاقتصادى أو السياسي، وشروط صندوق النقد الدولى القاسية، مثل خصخصة المياه فى بوليفيا أو إلغاء دعم الغذاء فى مصر، تحوَّلت إلى "عقد اجتماعى معكوس" حيث تُقدِّم الدولة ولاءها للسوق العالمي، وتتخلى عن ضمان حقوق مواطنيها، حتى المشاريع الوطنية التى كانت مصدر فخر، مثل الصناعة الثقيلة فى الهند والحديد والصلب فى مصر، تحوَّلت إلى أصولٍ تُباع فى سوق المزادات العالمية..

وهكذا لم يعد السؤال، هل ما زال نموذج وستفاليا صالحاً؟ بل أصبح؛ كيف ندفن دولةً لم تعد قادرةً حتى على دفن موتاها؟ ففى عصر تُحدِّد فيه شركات مثل "جوجل" و"نستِله" سياسات الضرائب والبيئة، وتتحكَّم منصات مثل "فيسبوك" و»إكس" فى الرأى العام، تبدو الدولة القومية كعملاق من الطين، يقف عاجزا أمام أعاصير لم يكن جزءاً من صنعها. فالسيادة الوطنية ليست شعاراً، بل معركة يومية مستمرة، ومصر اختبرت أن الاستقلال السياسى لا يكفي، فالاستعمار الداخلى (الفساد، وترنح العدالة، والتبعية الاقتصادية) قد يكون أقسى من الاستعمار العسكري، لكن التجربة تثبت أن "العقد الاجتماعي" ليس حلماً، بل خيار ممكن، حيث تُصبح السيادة الوطنية سلاحاً لكتابة عقد اجتماعى جديد، لا يكرر أخطاء الماضي، بل يبنى مستقبلاً لا يُفرِّط فى العدالة، حتى لو اختلفت الوسائل.

الفصل الثاني، العولمة.. تفكيك الحدود وإعادة تشكيل النفوذ

العولمة لم تكن مجرد تدفق للسلع ورؤوس الأموال، بل كانت ثورة فى مفهوم السيادة، أفرغت سيادة الدولة من مضمونها، ففى مصر، تحولت قصة العولمة من سردية اقتصادية إلى ملحمة درامية تكشف كيف تُستبدل السيادة الوطنية بوهم الانفتاح، بينما تُسرق الثروات وتُدفن الأحلام، فخلال أزمة الطاقة العالمية ٢٠٢٢، صدَّرت الشركات الأجنبية المتحكمة فى ٧٠٪ من انتاج الغاز المصري، الطاقة إلى أوروبا بأرباح خيالية، بينما عانت مصر من انقطاعاتٌ كهرباء متكررة بسبب نقص الإمداد المحلي، واضطرت الحكومة المصرية لاستيراد الغازٍ بأسعار أعلى من تلك التى باعته بها، مُكرِّسة دورة الفقر الطاقوي. كما حوَّلت منصات مثل "أوبر" و"كريم" آلاف السائقين المصريين إلى عبيد رقميين، فتستحوذ الشركات على ٢٥٪ من أجرة كل رحلة، بينما يدفع السائقون تكاليف الصيانة والوقود من جيوبهم، ووفقاً لتقرير "مركز الأرض لحقوق الإنسان"، يعيش ٧٠٪ من سائقى التطبيقات تحت خط الفقر، دون تأمين صحى أو معاش، فالعولمة هنا لا تعنى "التقدم التكنولوجي"، بل استغلالٌ ممنهج يُحوِّل البشر إلى أرقام فى تطبيق.

وفى ٢٠٢١، أطلقت الحكومة المصرية منصة "ذاكر" التعليمية بالشراكة مع "مايكروسوفت"، لكن الثمن كان تسليم بيانات ٢٣ مليون طالب إلى خوادم الشركة فى الولايات المتحدة، والنتيجة؛ تحوَّل الطلاب إلى منتجات رقمية تُباع بياناتهم لشركات الإعلانات، وفشلت المنصة فى تحقيق العدالة التعليمية، حيث حُرِم ٦٠٪ من طلاب الريف من استخدامها بسبب انعدام الإنترنت.

مصر ليست دولةً فاشلة، بل ضحيةٌ لنظامٍ عالمى يُعيد إنتاج التبعية عبر آلياتٍ أكثر دهاءً من الاستعمار التقليدي، والعولمة هنا لا تعنى "التكامل"، بل الاختراق، فالموارد تُنهب باسم "الاستثمار"، والسياسات تُكتَب فى واشنطن، والمواطنون يُحوَّلون إلى مستهلكين وعبيد رقميين. ولكن العولمة أيضاً حملت تناقضاتها، فبينما سمحت لبعض دول الجنوب – مثل سنغافورة – بالاندماج فى السوق العالمى والازدهار، فإنها عمَّقت الفجوات فى دول أخرى، فوفقاً لجوزيف ستيجليز؛ أدت شروط صندوق النقد الدولى (الخصخصة وتقليل الإنفاق الاجتماعي) إلى إفقار ملايين فى الأرجنتين وتركيا ومصر، مما أثار تساؤلات حول شرعية التدخل الخارجى فى السياسات الوطنية.

الفصل الثالث، صراع الهويات.. السيادة أم البقاء؟

الصراع بين السيادة والعولمة ليس مجرد نزاع سياسي، بل هو زلزال يُعيد تشكيل مفاهيمَ ظلت راسخة لقرون، ففى مختبر هذا العصر، تذوب الحدود بين "الدولة" و"السوق"، وتتصادم قيمٌ كان يُظنُّ أنها ثوابت؛ فكيف تُمسك الدولة بمطرقة السيادة – كفرض رسوم جمركية لحماية صناعاتها الناشئة – دون أن تحطِم يدها نفسها بعزلة اقتصادية؟ إنها معادلةٌ أشبه بالسير علىً حبل مشدود فوق بركان.

وفى مصر، يتجسد الصراع بين السيادة الوطنية وضغوط العولمة فى مشهد درامى يُعيد تعريف مفاهيم الحكم والحرية والعدالة، فعندما وقَّعت مصر على اتفاقية صندوق النقد الدولى عام ٢٠١٦ (بقرض ١٢ مليار دولار)، لم تكن توقع على ورقة مالية، بل على تنازل عن سيادتها الاقتصاديةً، بشروط قاسية تضَّمنت؛ تحرير سعر الصرف، الذى تسبب فى انهيار الجنيه بنسبة ٣٠٠٪، مُحوِّلاً حياة ٣٠ مليون مواطن تحت خط الفقر إلى جحيم يومي، وخصخصة قطاعات حيوية مثل الكهرباء والنقل، حيث اشترت شركة "سيمنس" الألمانية حصصاً فى شبكات الكهرباء المصرية، بينما ارتفعت الأسعار على المواطنين بنسبة ٤٠٪، وهنا تحولت "السيادة" إلى كلمة فارغة، بينما تحكمت "اليد الخفية" للسوق العالمى فى مصير الشعب، وكأنما مصر تُدار عبر الأسواق المالية.

وهل يجوز التدخل الحكومى أم أن حرية السوق تحول دون ذلك؟ فمن يملك الحق فى تشريح جسد الاقتصاد؟ فهل يحق للحكومةٍ أن تستخرج – عبر ضرائب تصاعدية – جزءاً من ثروة الأغنياءِ لتمويل مستشفيات الفقراء؟ أم أن هذا انتهاكٌ لمقدسات الرأسمالية (حرية التملك والاستثمار)؟ ففى ٢٠٢٣، أقرت الحكومة المصرية ضريبة القيمة المضافة بنسبة ١٤٪ على سلع أساسية (مثل الأرز والسكر)، بينما خفضت الضرائب على أرباح الشركات متعددة الجنسيات من ٤٠٪ إلى ٢٢,٥٪، والنتيجة؛ تضاعفت معاناة الفقراء، بينما ازدادت أرباح شركات مثل "فودافون" و"أوراسكوم" بنسبة ٣٠٪، وفقاً لتقارير البورصة المصرية، وكذلك ارتفعت رسوم الجامعات الخاصة (المُدارة بشراكات أجنبية) إلى ١٠ أضعاف، بينما تدهورت جودة التعليم الحكومي، مما حوَّل "الحق فى التعليم" إلى امتياز للطبقة العليا، فهذه ليست سياسات اقتصَّادية، بل إعادة هندسة اجتماعية تُكرس الفوارق الطبقية، وتُحوِّل المواطن العادى إلى وقود لآلة العولمة.

ورغم هذا المشهد القاتم، تظهر ومضات أمل، ففى قطاع الطاقة المتجددة، حاولت مصر الموازنة بين الانفتاح والعدالة؛ حيث مشروع "بنبان" للطاقة الشمسية (الأكبر عالمياً) بتمويل ألمانى صيني، لكن مع اشتراط توظيفً ٨٠٪ من العمالة المحلية، ونتيجة المشروع؛ توفير ٢٠٪ من حاجة مصر للكهرباء، مع خلق ١٠ آلاف فرصة عمل، هنا أثبتت مصر أن الصراع بين السيادة والعولمة ليس مجرد جدال أكاديمي، بل معركة يومية على الخبز والكرامة، والتوازن ممكن لكنه يحتاج إرادةً سياسية للقدرة على تحويل عوائد الانفتاح إلى رصيد اجتماعي.

فهى ليست معادلة لوغَاريتمية، بل معركة إرادات، فبينما تُجيد النخبُ السياسية فى الشمال العالمى لعبة "التنازل المُربح" (مبادلة التنازلات السياسية بمكاسب اقتصادية)، تدفع شعوب الجنوب العالمى ثمناً من دمائها، فكلَّما ارتفع مؤشر البورصة، انخفض مؤشر الكرامة الإنسانية، وهنا يصبح السؤال: هل نُصلح النظام العالمى بدمج العدالة فى معادلاته، أم أن "التعافي" – ذلك الشعار البرَّاق – مجرد غطاءٍ جديد لاستعمارٍ أشدّ فتكاً؟.

الفصل الرابع، الجنوب العالمي.. ساحة معركة العولمة

ليست دول الجنوب مجرد متفرج على صراع السيادة والعولمة، بل هى ساحة المعركة الأكثر دموية، حيث تُختبر نظريات الاقتصاد السياسى على جسد شعوبٍ حية، وثلاث سمات تجعل منها مختبراً مفتوحاً لهذا الصدام:

الهشاشة المؤسسية؛ فهى الفريسة التى تُغرى الذئاب بالاقتراب، فليست المؤسسات الضعيفة فى دول الجنوب مجرد خلل إداري، بل هى كسرٌ استراتيجى فى جدار السيادة، فحين يتم إعداد موازنة الدولة فى مصر وفقاً لشروط صندوق النقد الدولي، وليس وفقاً لأولويات الشعب، حيث خُصص أقل من ٨٪ فقط للصحة والتعليم، بينما خُصص ٢٥٪ لسداد الديون الخارجية (وفقاً لتقرير البنك المركزى ٢٠٢٣)، يصبح «القرض الدولي» مجرد غطاء لاستعمار جديد، وتحوَّلت مؤسسات الدوَلة إلى واجهَة لتطبيق الأجندة الدولية، فوزارة التضامن الاجتماعى – مثلا – تُنفق على برامج تعويضية هزيلة (مثل «تكافل وكرامة»)، بينما يُهمش دورها الأساسي فى ضمان العدالة الاجتماعية، ومن ثمة تحوِّل الحوكمة إلى مسرحية هزلية، تُوزَّع أدوارها من واشنطن وبروكسل.

التبعية الاقتصادية؛ فاعتماد الدولة على تصدير المواد الخام يجعلها رهينة لتقلبات الأسعار العالمية، وتصدير مصر للبترول الخام يجعلها سجينة سلسلة القيمة العالمية، بالإضافة إلى الغاز الطبيعى الذى كان مأمولاً له إنقاذ الاقتصاد المصرى فكان واقعه مريرًا، بسبب شروط عقود الشركات الأجنبية (مثل «إيني» الإيطالية و«شل» الهولندية) التى تمنحهما ٧٠٪ من الأرباح، وتسمح لهما ببيع الغاز المصرى فى السوق العالمى بأسعار مضاعفة، وحين ارتفعت أسعار الغاز عالمياً بسبب حرب أوكرانيا، باعت الشركات مخزون مصر (بدلاً من تلبية احتياجات السوق المحلي)، مما أدى إلى انقطاع الكهرباء صيف ٢٠٢٣، وزيادة فاتورة الاستيراد مجدداً بينما قناة السويس شريان التجارة العالمي، فالشركات الأجنبية (مثل "الموانئ العالمية DP») التى تُسيطر على موانئ مصرية مجاورة للقناة، تستحوذ على ٧٠٪ من أرباحها، وفقاً لتقارير "الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان»، وكذلك يسيطر سادة العالم على القمح، فتحوَّل الأمن الغذائى – وهو حقٌ أساسى – إلى سلعة يتحكم فيها السوق العالمي، بينما تُركت الزراعة المحلية تموت بسبب شروط صندوق النقد من إلغاء دعم المزارعين، وهذه التبعية ليست حظاً عاثراً، بل جريمة مُخطَّط لها، جعلت من مصر ودول الجنوب عامة «بنوكاً متنقلة» لتمويل رفاهية الشمال.

التأثير الاجتماعي؛ حين يُصبح الفقر سياسة مُتعمَّدة، فوفقاً لتقرير الأمم المتحدة (٢٠٢٣)، حوّلت سياسات التقشف فى مصر – التى فُرضت تحت ذريعة «الإصلاح الاقتصادي»– المجتمع إلى غابة من التناقضات؛ ٣٢٪ من السكان تحتً خط الفقر، بينما تزداد ثروة الطبقة العليا بنسبة٢٠٪، وهذا ليس خللاً فى التوزيع، بل إعادة إنتاج مقصودة للعبودية، حيث يُصبح المواطنُ خادماً لأسواقً الاستهلاك، ومُستنزَفاً حتى النخاع.

لكن التاريخ لا يسير فى اتجاه واحد، ففى تشيلي – التى كانت تُعتبر "النمر الاقتصادي" لأمريكا اللاتينية – انفجر بركان الغضب الشعبى عام ٢٠١٩، محطماً نموذجاً نيوليبرالياً عمره ٣٠ عاماً، ولم تكن الاحتجاجات مجرد رفض لزيادة أجور المواصلات، بل هزّةٌ وجودية ضد عقد اجتماعى بائد، حيث قرر الشعب أن يكتبَ بنفسه دستوراً جديداً، يُحوِّل النمو الاقتصادى من هدف دولى مقدس إلى وسيلة محلية لتحقيق العَدالة. وهنا، فى هذا التناقَض بين الاستنزاف والمقاومة، تكمن مفارقة العصر؛ فدول الجنوب العالمي، قد تحمل مشعل التغيير العالمي، وينتظر العالم الآن ما سيكتبه شباب تشيلى وسنغافورةٍ وبوينس آيرس، فهم يرفضون أن يكونوا وقوداً لآلة لم يختاروها.

الفصل الخامس، المستقبل: السيادة المرنة.. أم الفواعل غير الدول

السنوات القادمة لن تكون مجرد صفحة جديدة فى كتاب التاريخ، بل حرباً باردةً تُحددً مصيرَ مَن يملك الحق فى تشكيل العالم، وأمام دول الجنوب خياران مصيريان، كلاهما يحمل فى طياته إما بصيص أمل أو شبح كارثة:

السيناريو الأول: "السيادة المرنة".. عندما تتعانق التكنولوجيا مع كرامة الإنسان، هنا ترفع الدولة شعار «ننفتح على العالم، لكننا لا ننكسر أمامه»، فرواندا – التى تحوَّلت من مذبحة الإبادة الجماعية عام ١٩٩٤ إلى وادى سيليكون أفريقيا – تقدم نموذجاً ملهماً، حيث السيادة تُبنى بدمج الذكاء العالمى مع العدالة المحلية، فبينما تجذب الاستثمارات التكنولوجية العملاقة (مثل بناء مصانع الذكاء الاصطناعي)، تحتفظ ببرامج حماية اجتماعية صارمة، من تأمين صحى مجانى لأصحاب الدخل المحدود، ومنح دراسية فىِ القرى النائية، والسيادة هنا ليست أسواراً عالية، بل شبكة ذكية تلتقط الفرص العالمية وتُرشحها عبر مصفاة العدالة الاجتماعية.

السيناريو الثاني: إعادةٍ البناء بالوهم الذى يخفى استعماراً رقمياً، فتحت ذريعة مساعدة الدول على النهوض من أزماتها، تتحول الشركات العابرة للقارات ومنظمات التمويل الدولية إلى أوصياء جدد علىِ مقدرات الشعوب، والصورة ليست مُبالغاً فيها، فصندوق النقد الدولى هو المهندس الخفى للسياسات المصرية، ووفقاً لتقرير «المركز المصرى للدراسات الاقتصادية»، تحوَّلت مصر إلى حقل تجارب لسياسات الصندوق، فضلاً عن سارقى الذهب الأسود والذهب الأزرق. والأسوأ أن الاستعمار الجديد لا يحتاج إلى دبابات، بل يكفيه السيطرة على البيانات والموارد، كما فى كينيا، حيث تبيع الحكومة بيانات المواطنين لشركات التأمين العالمية لتحديد أسعار الخدمات، وكذلك عندما أطلقت الحكومة المصرية منصة إلكترونية لخدمات المواطنين بالشراكة مع «مايكروسوفت»، كان الثمن تسليم بيانات ١٠٠ مليون مواطنٍ لخوادم الشركة فى الولايات المتحدة، ووفقاً لتقرير منظمة «الخصوصية العالمية، Privacy International. تُستخدم هذه البيانات من قبل شركات التسويق العالمية لتوجيه الإعلانات، بينما تُحرم مصر من استثمارها فى بناء ذكاء اصطناعى محلي، أما السيطرة على الموارد فالأمثلة بشركات النفط والغاز العابرة للقارات فى مصر تكفي..

والخطير فى هذا السيناريو الأخير هو أنه يُقدَّم كشر لابد منه للتعافى الاقتصادي، بينما هو فى الحقيقة إعادة إنتاج للاستعمار بمهندسى النظام العالمى الجديد (الفواعل غير الدول) ومصر هنا ليست دولة فاشلة، بل دولة مُفككة بفعلِ التعاقدات الدولية، حيث تُباع سيادتها قطعةً – قطعة، وهكذا تُختزل مصر من دولة ذات تاريخ عريقٍ إلى "رقم فى محفظة استِثمارية"، بيًنما تَصفق النخبُ المحلية للنهب المنظم، وتستبدل الرايات الاستعمارية بشعارات برَّاقة مثل "الإصلاح" و"الشراكة العالمية"، و"التنمية المستدامة».

الخاتمة، ثورة أم إصلاح؟ حين يصير السؤالَ وجودك ذاته

ليست المسألة مجرد خيار بين إصلاح نظام متهالك أو إشعال ثـورة، بل هى استحّقاقٌ وجودى يُحدد مَن سنكون بعد قرن من الآن؛ أحفادَ شعب اختار أن يُدافع عنً كرامته، أم أرقاماً فىً سجل استعمارى جديدٍ، والصراع بين الدولة والعولمة ليس جدالاً فى ندوات الفكر، بل هو حربٌ علي جثث الفقراء تُدار فى مكاتب "وول ستريت" وقاعات "دافوس"، حيث تُباع سيادة الشعوب كسلعة فى سوق المزادات. وأمام شعوب الجنوبً العالمى طريقان؛ إما قبول التبعية لمراكز القوى الجديدة، والخضوع لأمركة العالم أو "صيننته"، حيث تُصبح مجرد سوق استهلاكى أو ساحة لتصفية الحسابات بينً العملاقين، وهنا تُدفَن العدالة تحت أنقاض "الاستثمارات الأجنبية"، ويُصبح المواطن خادماً رقمياً فى منصات التوصيل، أو مُستنزَفاً فى محاجر الرمال السوداء.

الطريق الثاني؛ هو إعادة ابتكار نموذج سيادة يعترف بالترابط العالمى دون التفريط فى العدالة، كما فعلت كوبا حين حوَّلت الحصار إلى فرصة لبناء أقوى نظام صحى فى أمريكا اللاتينيةً، أو فيتنام التى هزمت الاستعمار الفرنسى ثم الأمريكي، والآن تُهزم شروط صندوق النقد بإنهاض زراعتها المحلية. فالعالم لن ينتظرنا، وكما قال عالم الاجتماع البريطانى من أصل هندي، أمارت ياصن: «الحرية ليست أن تملك طبقاً من الأرز، بل أن تختار مَن يزرعه، ومَن يأكله».

هذا المقال ليس مجرد سؤال فلسفي، بل صرخةٌ فى وجه كل مَن يستطيِّع أن يسمع: هل نرضى بأن نكون «شعوباً للاستئجار» فى عصر العولمة، أم نصنع عالماً لا يُكرِّس القهر بل يدفن جذوره؟ والنقاش ليس ترفاً.. إنه الباب الأخير للعدالة قبل أن يُغلق.

بقلم: أحمد حمدي درويش

المشهد
العدد 339 – السنة الرابعة عشرة -الأحد 25 مايو 2025 م الموافق 27 ذو القعدة 1446 هـ

قالت العرب

«سجِّل.. برأس الصفحة الأولى
أنا لا أكرهُ الناسَ ولا أسطو على أحد
ولكنّي.. إذا ما جعتُ آكلُ لحمَ مغتصبيّ
حذارِ.. حذارِ.. من جوعي ومن غضبيّ»

سنحرر شاعرًا بقصيدة

مبادرة شعرية دفاعًا عن أحمد سراج

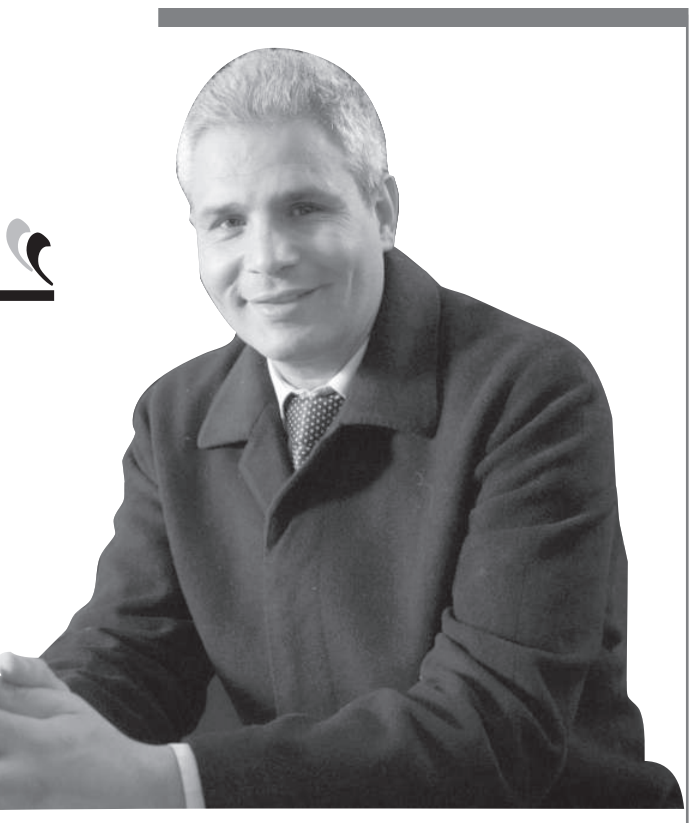

في يناير الماضي، على صفحته على الفيس بوك دشّن الشاعر والكاتب محمد حربي مبادرة بعنوان: «سنحرر شاعرًا بقصيدة»؛ دعمًا للكاتب والشاعر أحمد سراج في أزمته الأخيرة. تهدف المبادرة إلى التضامن شعريًا وجماليًا مع سراج في محنته، غير معنية بتسييس القضية، علمًا بأن هذه المبادرة هي الثالثة من نوعها التي يطلقها محمد حربي؛ دعمًا لأصحاب المواقف، فالأولى كانت دعمًا لابنة الشاعر رفعت سلّام في أزمته، والثانية: وقوفًا مع الشاعر أشرف فياض.

المبادرة اتخذت من الشعر وسيلة للتضامن، وأكدت منذ بدايتها أنها ليست ذات طابع سياسي؛ بل تهدف إلى دعم رمزي وأخلاقي، من خلال النصوص الشعرية.

يذكر حربي أن مبادرته تهدف إلى تحرير شاعرين في الوقت نفسه، الشاعر المسجون من مشاعر الوحدة والعزلة والحزن التي يعانيها، وكذلك تحرير الشاعر كاتب القصيدة من مشاعر الخوف، وتحريره من حالة الصمت. وشارك في «سنحرر شاعرًا بقصيدة» دعمًا لأحمد سراج، ٣٠ شاعرًا حتى الآن، بأكثر من ٥٠ نصًا شعريًا حتى الآن. شارك فيها شعراء من مصر، وامتدت إلى شعراء من الوطن العربي؛ مثل: الشاعر السوري فواز القادري، والعراقي يحيى الشيخ.

تولى محمد حربي نشر هذه القصائد على صفحته الخاصة. ومن يتأمل عناوين هذه القصائد سيلاحظ البعد الجمالي لهذه القصائد، وهو ما يؤكده مضمونها، وتنتمي هذه النصوص إلى ما يمكن تسميته بأدب التضامن؛ إذ تعكس مواقف أخلاقية وإنسانية داعمة لفكرة الحرية، كما تعبّر عن الرفض الرمزي للقمع. وقد جاءت بعض القصائد في شكل بيانات شعرية، بينما لجأ بعضها الآخر إلى الرمزية والأسطورة، وبخاصة الأسطورة المصرية القديمة المتعلقة بالإلهة "ماعت" ربّة العدالة، التي يُوزن أمامها قلب المتوفى مقابل ريشة الحق، وهي أعمال جديرة بأن تضم في ديوان يجمعها، بما تشكله من روح محبة مفعمة بالجمال والنبل. كان الشاعر محمد حربي هو الأكثر مشاركة فيها بثلة من القصائد، تستحق دراسة وحدها.

وفيما يلي قائمة جرد لمن وصلت إليهم من المشاركين في المبادرة، وفقًا للترتيب الزمنِي من الأقدم للنشر في الحملة وصولًا إلى الأحدث:

«أنا بخير» و«قبلة أخرى» و«ارسم شجرة» لأسامة حداد، «إلى متى» لمجدي أبو الخير، «الفتى القروي» لأسامة البنا، «الحرية على الطريق تشرب الشاي مع عشاقها» للشاعر السوري فواز القادري، «بعد الغروب» و«أوغاد» و«موسم البرتقال» لعبد الله راغب أبو حسيبة، «حشائش النار» لمحمد عكاشة، «حقائب التلاميذ» لرضا أحمد، «اخرج عليهم من باب القصيدة» لسامي البلشي، «الشعر فاجعتك» بتوقيع ×ادموند جابس شاعر مصري فر إلى باريس، «تأملوا بلاطة لأجلي» لسيد فرج الشقوير، «سيوف تقطر دمًا» و «ولهذا تكبل» و«حاول أن تغني» و«متهم استثنائي» للعراقي يحيى الشيخ، «مسيح مبتدئ» و«لا وقفة ولا مخاطبة» «اعتقال المجاز»، »نصوص لم تكتمل»، «ما نسيته أسطورة عن حصان»، «قصائد منسية»، «أبحث عن شيطان أخضر»، «الثورة كافرة» و«رقصة السؤال» لمحمد حربي، «حين يرتجلون صمتك» لهشام حربي، «ريش الحكمة الملون» و«أنشودة المخفر» لمؤمن سمير، «من سيرة مواطن عادي» لعماد غزالي، «تفاصيل» لممدوح التائب، «في كل مدينة» لسامح قاسم، «اختيار» لنادية محمد، «نعم فعلتها» لعربي كمال، «أغرقت خارطتي» ليونان سعد، «سقوط» لرانية خلاف، «في الزنزانة» لعبدالرحمن مقلد، «شكرًا لك أيتها الطيبة» لكمال أبو النور، «لا سيف يُسَلَطُ فوق الرقاب سيبقى» لمجدي شندي.

حملت هذه القصائد روحًا هادرة بالمحبة، تتغنى بقيمة الحرية، وكثير منها ربطت موقف الشاعر أحمد سراج بموقف المسيح – عليه السلام – برؤى مختلفة الذي صلبه قومه، كما أنها ربطت بين موقف الشاعر والإرث الحضاري العظيم، في مصر، وفي بلاد الرافدين، وفي بلاد اليونان. وبعضها الأخرى ربطها بوظيفته كمدرس بوزارة التربية والتعليم.

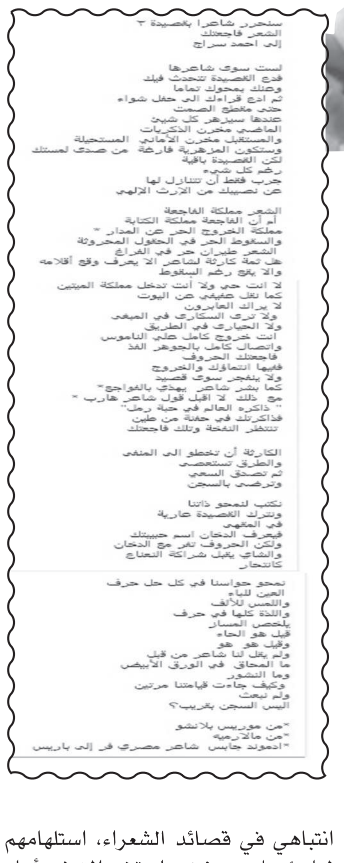
سنحرر شاعرا بقصيدة ٣
الشعر فاجعتك
إلى احمد سراج

لست سوى شاعرها
فدع القصيدة تتحدث فيك
وعنك بمحوك تماما
ثم ادع قراءك الى حفل شواء
حتى مقطع الصمت
عندها سيزهر كل شيئ
الماضي مخزن الذكريات
والمستقبل مخزن الأماني المستحيلة
وستكون المزهرية فارغة من صدى لمستك
لكن القصيدة باقية
رغم كل شيء
جرب فقط أن تتنازل لها
عن نصيبك من الإرث الإلهي

الشعر مملكة الفاجعة
أم أن الفاجعة مملكة الكتابة
مملكة الخروج الحر عن المدار *
والسقوط الحر في الحقول المحروثة
الشعر طيران حر في الفراغ
هل ثمة كارثة لشاعر الا يعرف وقع أقلامه
والا يقع رغم السقوط
لا انت حي ولا أنت تدخل مملكة الميتين
كما تقل عفيفي عن اليوت
لا يراك العابرون
ولا ترى السكارى في المبغى
ولا الحيارى في الطريق
انت خروج كامل على الناموس
واتصال كامل بالجوهر الفذ
فاجعتك الحروف
ففيها انتهاؤك والخروج
ولا ينفجر سوى قصيد
كما بشر شاعر يهذي بالفواجع*
مع ذلك لا اقبل قول شاعر هارب *
" ذاكره العالم في حبة رطل"
فذاكرتك في حفنة من طين
تنتظر النفخة وتلك فاجعتك

الكارثة أن تخطو الى المنفى
والطرق تستعصى
ثم تصدق السعي
وترضى بالسجن

نكتب لنمحو ذاتنا
ونترك القصيدة عارية
في المقهى
فيعرف الدخان اسم حبيبتك
ولكن الحروف تفر مع الدخان
والشاي يقبل شراكة النعناع
كانتحار

نمحو حواسنا في كل حل حرف
العين للباء
واللمس للألف
واللذة كلها في حرف
يلخص المسار
قيل هو الحاء
وقيل هو هو
ولم يقل لنا شاعر من قبل
ما المحاق في الورق الأبيض
وما النشور
وكيف جاءت قيامتنا مرتين
ولم نبعث
اليس السجن بغريب؟

*من موريس بلانشو
*من مالارميه
*ادموند جابس شاعر مصري فر إلى باريس

ومن أكثر الصور الشعرية التي لفتت انتباهي في قصائد الشعراء، استلهامهم لمبادئ ماعت، فعندما يقف المتوفى أمام محكمة الموتى، المكونة من ٤٢ قاضيًا يمثلون أقاليم مصر المختلفة، برئاسة أوزير رب الموتى – حسب عقيدتهم – يقوم المصري بسرد أعماله الحسنة، و يتبرأ من أعماله السيئة؛ مثل : السرقة، و القتل، وتلويثه مياه النهر المقدسة، وبعد ذلك كان يوضع القلب المتحدث في إحدى كفتي ميزان العدالة، وفي الكفة الأخرى توضع ريشة تمثل المعبودة «ماعت» ربة الحق والصدق والعدالة – حسب المعتقد–؛ لتكون النتيجة إما الجنة والخلود الدائم، وإما أن يلقوا قلبه لهذا الحيوان المفترس، الذى يجلس أسفل الميزان، ليلتهمه وليكون مصيره الفناء.

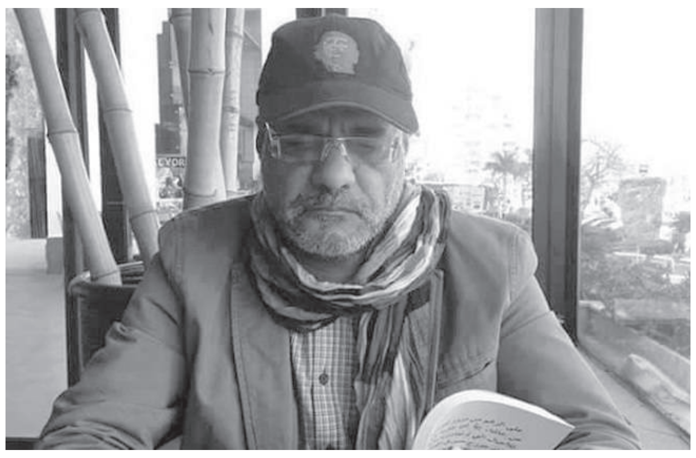

وفي هذه المحكمة كان المصري حريصًا على ذكر أنه لم يلوث مياه النهر؛ لأن هذا الإقرار هو من أهم شروط دخوله الجنة، ويكتب له الخلود.

جرى توظيف هذه الأسطورة في أكثر من قصيدة من القصائد المدافعة عن أحمد سراج؛ للإشارة إلى فطرته البريئة، ونبل تصرفاته، فيقول الشاعر عبدالله راغب أبو حسيبة: «فأنا لم ألوث ماء النيل.. ولم أترك غبار ركية الشاي تغلق باب السماء.. أنا لم أبدل قلمي ببندقية أو بلغم.. كنت فقط أحضر الأرض لموسم البرتقال» فنحن في هذا المقطع أمام شاعر يتسم بالبراءة، فلاح فصيح من طين هذه الأرض، لا يملك سوى قلمه الذي سخره من أجل الحق، والخير، والجمال، ولم ينتهج العنف منهجًا، ومحب لبلاده.

ويقول الشاعر أسامة حداد: «أنا بخير.. لا أشغل حيزًا في الفراغ.. ولا ألوث الهواء الفاسد.. لم يطالع أحدهم هويتي.. تركني الشرطيون أمرّ.. وسمح الطريق بعبوري جسده المتورم.. أنا بخير.. ظلي لا يتابعني» فنحن هنا أمام مقطع يحمل الكثير من روح التهكم؛ يقول شيئًا ويعني أمرًا آخر، يتكئ على الأسطورة المصرية القديمة (لم ألوث الهواء؛ لأن الهواء بالفعل فاسد)، يقول إنه بخير لكن الواقع يكذب ذلك، فنحن أمام جسد متورم من التعذيب تحول إلى شبح، فقط الأشباح هي التي لا يكون لها ظل. فالقصيدة تحمل نقدًا لاذعًا لواقع أليم يمر به كثر، لكن عبّر عنه بلغة شعرية بديعة غنية، تقول الكثير دون أن تصرح.

واستلهم الأسطورة نفسها الشاعر كمال أبو النور «شكرا لك أيتها الطيبة» (تذكّر أنك كنتَ طفلًا كمرآة صافية.. كانت الطيورُ المهاجرةُ صديقةً لنافذتكَ.. تطعمُ الثعابينَ في جحورها.. لم تكسرْ يومًا عينَ وردة.. ولا لوثتَ نهرًا.. وليست لك أغصان سريّة».

بداية من اسم القصيدة، الذي يعبر عن نبت سراج الطيب؛ لأنه ابن أرض طيبة، صاف كالمرآة، صديق للطيور، لم يكسر وردة، ولم يلوث نهرًا، واضح وضوح الشمس لا يملك ما يخفيه.

ويستلهم الشاعر سامي البلشي قصة علي بن أبي طالب، وفدائه للنبي – عليه الصلاة والسلام – ويسقطها على الشاعر أحمد سراج، فيقول: «سأنام في فراشك هذه الليلة.. ألتحف بأنفاسك المتقطعة.. وأحلم بالصباح في ليالينا المعتمة.. سمّ الله واخرج.. لا تسلك الباب الذي صنعوه.. ولا الشباك المضفر بالحديد.. انظر يمينك واقرأ ما تيسر .. تحسس الكلمات.. واخرج من الباب الذي تشكله القصيدة» لأن باب القصيدة أرحب، ولا يمكن سجنه أبدًا.

وكذلك اتسمت قصيدة سامح قاسم بعذوبة شديدة، فيقول: «في كل مدينة، ثمة من يجلسُ عند الأطراف، لا يزرعُ، لا يحصدُ.. لكنه أولُ من يمدُّ يدهُ إلى الوليمة.. هم لا يصنعون النار، لكنهم أول من يشوي ضحاياه.. لا يكتبون الشعر، لكنهم يتذوقون دموع الشعراء.. لا يحفرون القبور، لكنهم يملؤونها بالموتى.. إنهم آكلو الجيف.. يقتاتون على ما تهشّم.. على ما تخلى عنه الضوء.. على ما لفظه الحب.. وما أنكره الزمن.. تراهم في الحروب يفتحون الأفواهَ لا ليصرخوا؛ بل ليبتلعوا الرماد.. تراهم في السلام يحملون السكاكينَ؛ بحثًا عن جرح طازج.. يكتبون تاريخًا بلا شهود.. يغلقونَ الأبوابَ أمام الحقيقة.. يقتسمون الخيانةَ كخبز يابس.. ثم يضحكون ويقولون: هكذا كُتبَ علينا أن نحيا.. لكنّ الحياةَ بريئةٌ منهم، كما الأشجارُ بريئةٌ من فؤوس الحطّابين.. كما البحارُ بريئةٌ من عطش القرى.. وكما السماءُ بريئةٌ من كلِ من صلى إليها.. ثم قتل».

تتميز هذه القصيدة بكثافة رمزية عالية، ولغة شعرية عذبة، لكنها دامية في الوقت نفسه، ترسم صورة قاتمة لجماعة تمتهن «أكل الجيف»، تعيش على خسائر الآخرين، لا تشارك في البناء، وتقتات على الخراب. قصيدة تنتمي إلى شعر المقاومة والمجابهة، تخلو من المباشرة، تُدين بصوت عالٍ الفساد والخيانة، تُعرّي الواقع الفاسد دوّن صراخ.

كما أن عددًا من النصوص المشاركة في المبادرة ربطت بين واقعة سجن أحمد سراج، وبين فشل ثورة ٢٥ يناير، واعتبرتها تجسيدًا لضياع الحلم الجمعي، وموت المعنى. من أبرز هذه النصوص: قصيدة «نعم فعلتها» للشاعر العربي كمال، والتي يقول فيها: «لا أحد يهرب من حقيقته.. وحقيقتي أنني – أيضًا – لستُ نصفًا؛ بل رجلٌ ميتٌ.. مُذ أخذوا نصفهُ.. حبيبتهُ.. أغنيته.. ثورتهُ، وتركوه مشطورًا.. فمات!

ما تشاهدونه الآن هو ظِلي.. ظلي الذي يكابر.. ظلي الذي يخجلُ من الاعترافِ بموتِ صاحبه».

فيِ هذه القَصيدة، يحضر الظل كرمز للبقاء الزائف، عن إنسان لم يتبقّ منه سوى الأثر، بعد أن فُقد جوهره وروحه الإنسانية؛ عبر مصادرة أدوات وجوده: الحب، والغناء، والثورة. وتتحوّل هنا الحالة الفردية الشخصية إلى شكل أوسع وأشمل، يمثل الإحباط الجمعي لجيل كامل آمن بالتغيير عبر الثورة، لكنه وجد نفسه في مواجهة الواقع الذي أعاد إنتاج القمع، فصار الظل رمزًا لكل ما تبقّى من الإنسان بعد سحق ذاته.

ومنِ القصائد التي بشّرت بمستقبل أكثر إشراقا، يتجاوز اللحظة الخانقة، جاءت قصيدة مجدي شندي «لا سيف يُسلَّط فوق الرقاب سيبقى»، التي اعتمدت البناء الحواري بين الشاعر وسراج، بلغة تجمع بين الرقة والتحريض. يقول :«كم مرة قلت لي ترفَّقْ بحلمكَ لئلّا يُجْهضْهُ العَسَسْ.. وِها أنت يَحْجُبْكَ عني الظَلامُ الذي قد خَشيتَ عليّ عُـوَاءَهُ.. فارفق بنفسك.. حافَظ على بنفسجة الحلم بين ضلوعك.. وكفكف دموعك.. فإنا ما نسيناك غمضة عين.. ولا تركناكَ وحدك.. حدِّق تَرانا.. أسارى في زنزانتك التي أرادوها ضيقة كجحر ضب، فصارت وسيعة.. ستزهو بما أنت يومًا وتمشي – كما عهدتك مختالا – تقطع بنصل الحروف رؤوسًا، تكون حينئذ أينعت ونعزف معًا.. قصيدة عشق لوطن ظلَّ أسيرًا.. ينتظر بأن تفك القصَائدُ قيده.. لا سيف يُسلط فوق الرقاب سيبقى.. ستبقى القصيدة».

يستدعي النص صورة الشاعر المقهور، كمُلهم وأيقونة، إنه الفارس والبطل، يتماهَى حلمه الفردي مع الجماعي، نص تتحوّل فيه الزنزانة إلى مساحة تزداد فيها رقعة الأمل. وتُبرز القصيدة ثنائية "القصيدة مقابل السيف"، في إشارة إلى إيمان شندي بقوة الكلِمة التي «تقطع بنصل الحروف رؤوسًا» بدلًا من أن تريق دمًا. بهذا المعنى، يضع النص الفن والشعر ، في مواجهة مباشرة مع أدوات القمع، ويعلن أن القصيدة وحدها هي التي ستبقى، بينما تفنى أدوات العنف. كما في القصيدة إحالات تاريخية؛ منها: الإحالة على خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي حول الرؤوس التي أينعت وحان قطافها، وكذلك يعيد توظيف الحديث النبوي، في قوله حول جحر الضب: «أسارى في زنزانتك التي أرادوها، ضيقة كجحر ضب، فصارت وسيعة»، يعيد التوظيف بمعنى جديد، فهذا الجحر يتسع بوجود شاعر فيه، يمتلك الخيال والأمل القادر على صنع المستحيل.

د. عبدالكريم الحجراوي

المسجد العمرى بالطود.. مزيج بين الحضارة الفرعونية والإسلامية

يرتفع على 8 أعمدة فرعونية ومسلة جرى صقل زواياها لإعطائها شكلًا مغايرًا يناسب وظيفتها الجديدة

تشتهر محافظة الأقصر بصعيد مصر، بامتزاج الحضارة الفرعونية بالإسلامية فيها، حيث تضم المحافظة عددًا كبيرًا من المساجد التاريخية، التى بنيت معظمها فى فترة مبكرة من الفتح الإسلامى لمصر، وأبرز هذه المساجد: المسجدان العمريان فى مدينة إسنا، والمسجد العمرى بالطود، ومسجد أبو الحجاج بمدينة الأقصر، وتشترك هذه المساجد جميعها بوجود أعمدة فرعونية بداخلها ترفع سقفها.

ويظهر ذلك بشكل واضح فى المسجد العمرى بالطود، الذى يقع على بعد ٢٠ كيلو مترًا جنوب مدينة الأقصر، حيث يجمع المسجد بين الحضارة الفرعونية والإسلامية؛ لاحتوائه على أعمدة أثرية فرعونية، حيث وصفه أحد أشهر علماء الحملة الفرنسية كوستار، خلال زيارته إلى المسجد فى ٢٢ سبتمبر عام ١٧٩٩م، أنّه يحتوى على ثمان أعمدة من الجرانيت تعود إلى الحضارة الفرعونية، وقطعة من مسلة تم صقل زواياها؛ لإعطائها شكلًا ثانيًا يناسب وظيفتها الجديدة، ولكن يبقى من السهل التعرف على هيئتها القديمة؛ بفضل الرموز الهيروغليفية التى لا زالت ظاهرة على طول العمود. تلك القطعة التى تشهد على أنّ مدينة الطود كانت قديمًا مزينة بالمسلات، وهو الشيء الذى يجعلنا نظن أنها كانت ذات أهمية كبيرة.

ويقول الباحث الأثرى عبدالغفور عبدالله: "إن الشواهد الأثرية الفرعونية ظاهرة للغاية بالمسجد، من خلال شكل الأعمدة، والشواهد الأثرية الإسلامية المتمثلة فى التيجان العربية، والكوابل، والدعامات الخشبية المتعانقة مع الأعمدة الأثرية، فضلًا عن شاهد حجرى منقوش عليه باب ضريح ومقام حسن عبدالمنعم أغا، حاكم الشرق والغرب وناظر قسم إسنا، وقبلة المسجد التى تحتوى على عمودين من الجرانيت يرجح أنهما فرعونيين".

تاريخ البناء

هُدِمتْ مئذنة المسجد التاريخية فى عام 2003، دون الوعى بقيمتها الأثرية الكبيرة وبأنها تعود إلى العصر الفاطمي

لفت انتباه علماء الحملة الفرنسية أثناء زيارتهم له 22 سبتمبر عام 1799م؛ بسبب طابعه الفريد

أوضح الباحث الأثرى الدكتور أحمد محمود الطيري، أنّه لا يوجد شاهد يبين تاريخ بناء المسجد، ولكن من المؤكد أنه أقدم مساجد صعيد مصر، ويرجح أنه قد بنى بعد الفتح الإسلامى لمصر مباشرة. ويشير الطيرى إلى أن تسمية المسجد العمرى لا تعنى بالضرورة أن منشئه هو عمرو بن العاص؛ وإنما تطلق على أقدم مسجد فى كل إقليم أو منطقة، نسبة إلى جامع عمرو بن العاص فى الفسطاط، الذى يعد أول مسجد جامع فى مصر الإسلامية.

وأضاف أن بعض المستشرقين الفرنسيين مثل: جان كلود جارسان، يرجح أنّ يكون مسجد الطود العمرى أنشئ خلال الفترة التى أنشيء فيها المسجد العمرى بقوص؛ نظرًا لوقوعه فى المنطقة نفسها، ولتطابق بناء المئذنتين فى كلا المسجدين، على نسق المساجد الفاطمية القديمة.

ولفت الطيرى إلى أنه تم هدم مئذنة المسجد التاريخية فى عام ٢٠٠٣، دون الوعى بقيمتها الأثرية الكبيرة، وأنها تعود إلى الفترة الفاطمية، مثلها مثل مئذنتى مسجدى إسنا العمريين الباقيتين حتى الآن.

يقابل المسجد معبد مونتو إله الحرب عند المصريين القدماء

معبد طود

وفى المقابل من المسجد الذى يقع على ربوة مرتفعة، يوجد معبد الطود، الذى يرجح أن المسجد قد بنى من أحجاره وأعمدته.

وقد بُنى معبد الطود فى عهد الأسرة الرابعة، لعبادة الإله «مونتو» إله الحرب، وهو الإله الذى جرى تقديسه فى جنوب طيبة بمدينتى الطود وأرمنت.

واعتمد المعبد فى بنائه على الحجر الرملي؛ لقربه من محاجر الحجر الرملى فى إدفو بأسوان، كما استُخدم أيضًا لسهولة الحفر والكتابة عليه، ومن ثم تلوينه بحجر البازلت والجرانيت.

وخضع المعبد إلى مراحل ترميم فى عصور مختلفة منذ تشييده فى الأسرة الرابعة، حيث توجد رسومات تشير إلى تحتمس الثالث، ورمسيس الثاني، وبطليموس، وكليوباترا، ورسوم الخرطوش الفارغ التى تعود إلى العصر اليوناني.

وقد تعرض للإهمال على خلفية أفكار عقائدية متشددة، إبان العصر المسيحى فى مصر، فبعض النقوش فى المعبد مُمحاة.

تقرير: د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
العدد 339 – السنة الرابعة عشرة -الأحد 25 مايو 2025 م الموافق 27 ذو القعدة 1446 هـ

قالت العرب

"مقهى، وأنت مع الجريدة جالسٌ
في الركن منسيّا، فلا أحد يهين
مزاجك الصافي، ولا أحدٌ يفكر باغتيالك
كم انت منسيٌّ وحُرٌّ في خيالك!"

عمار علي حسن يكمل ثلاثيته المتمحورة حول الذات بـ «ألف نافذة لغرفة واحدة»

في فترة متقاربة، جنح الكاتب المصرى عمار على حسن إلى كتابة ثلاثة كتب له، تتمحور حول تجاربه الذاتية فى الحياة، بدأها بـ«مكان وسط الزحام – المصرية اللبنانية ٢٠١٨م» الذى تناول جانبًا من سيرته الذاتية، وفترة كفاحه ليجد لنفسه مكانًا ومكانة فى القاهرة المزدحمة بأهلها. والثانية: «عجائز البلدة – المصرية اللبنانية ٢٠٢٠م» الذى يضم مجموعة من المقالات الأدبية، التى يرصد فيها العناصر والآلات التى عايشها فى قريته، وهو ما اعتبرناه وقتها استكمالًا لجانب الطفولة فى سيرته الذاتية، الذى لم يفرد له مساحة كبيرة فى سيرته الأصل. وتكتمل هذه الثلاثية المتمحورة حول الذات، وما قام به من أعمال، أو ما عايشه من مواقف وتجارب بكتابه «ألف نافذة لغرفة واحدة: رحلة بين الطبيعة والطبائع» الكتاب الحاصل على جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة فرع الرحلة المعاصرة لعام ٢٠٢٢م. يسرد فيه تجاربه ورحلاته التى قام به فى العديد من بلدان العالم «فرنسا، تركيا، إنجلترا، ألمانيا، إندونيسيا، الإمارات، البحرين، الكويت، السودان، المغرب، الأردن، لبنان، السعودية».

اتخذت تلك الثلاثية أجناسًا أدبية مختلفة «سيرة، ومقال أدبي، وأدب الرحلة»، تغطى كل واحدة منها جانبًا وحقبة من حياة مؤلفها؛ فإحداها اختصت بعالم طفولته ونشأته المبكرة، والثانية اهتمت بفترات تكوينه وبحثه عن مكان فى عالم المدينة القاسي، وطريقه للتحقق كاسم لامع فى Aسماء الإبداع والبحث السياسى الاجتماعي، والكتاب الثالث صدر ٢٠٢٢ ليرصد تجارب عمار الآنية بعد تحققه، التى مكنته من السفر إلى كثير من بلدان العالم. وكشفت هذه الثلاثية عن اتساع الرؤية للعالم، وتدرجها بشكل منطقى من القرية (الإسماعيلية فى محافظة المنيا وسط مصر).. إلى المدينة القاهرة عاصمة مصر.. إلى المنطقة العربية بداية من الخليج والمغرب العربي.. وصولًا إلى باريس ولندن وبرلين... إلخ.

أجناس أدبية متنوعة

واللافت فى هذه الأعمال الثلاثة بخلاف تنوع أجناسها، أنها جميعًا جاءت فى وقت متقارب لا يتجاوز أربع سنوات، حيث صدرت مكان وسط الزحام فى ٢٠١٨م، وعجائز البلدة ٢٠٢٠، وألف نافذة ٢٠٢٢. مما يطرح تساؤلًا حول السبب الذى جعل عمار ينحو هذا الاتجاه فى الحديث عن نفسه بهذه الكثافة، وكأنه يريد أن يخبر الجميع بمراحل حياته كلها.. كيف كان؟ وإلى أين وصل؟ وآلية هذا الوصول. هذا التساؤل ذاته الذى طرح على المؤلف حين نشر سيرته الذاتية، التى اعتبرها الكثيرون أنها جاءت فى وقت مبكر، فمن المعتاد أن السير الذاتية يكتبها من يبلغون من الكبر عتيًا، وهو ما رد عليه عمار وقتها بأن طه حسين كتب الأيام فى الثلاثينيات من عمره، وأن الدافع الذى جعله يعجل فى كتابة السيرة هو الهجوم الشديد الذى يتعرض له من قبل خصومه السياسيين، الذين يهدفون إلى تشويه صورته أمام الناس، فكانت سيرته رسالة للناس أنه واحد منهم وخرج من بينهم، عكس ما يدعى المدعون. ويمكن اعتبار أن الكتابين اللاحقين على السيرة وهما: عجائز البلدة، وألف نافذة، جاءا كتأكيد على هذا المعنى الذى طمحت له سيرته. بالإضافة إلى تعلق عمار على حسن الكبير بسيرة طه حسين، خاصة وأنهما نشأ فى المكان ذاته، محافظة المنيا، وأكملا تعليمها فى جامعة القاهرة، وعلى غراره كتب سيرته، فعندما فُصل طه حسين من الجامعة وهوجم هجومًا شديدًا، أخرج سيرته الأيام أيضًا؛ ليكشف للعامة والخاصة من يكون، وأنه ليس زرعًا شيطانيًا نشأ فى الفراغ.

تعلق بالعميد

أما عن النمط الذى اتبعه عمار على حسن فى التعبير عن ذاته، فى أكثر من جنس أدبي، فهو أيضًا ليس ببعيد عما فعله عميد الأدب العربي، فسيرته «الأيام» لا تحيط إلا بجانب ضئيل من حياته، يتعلق بالنشأة، وسنوات المثابرة والبناء فى طريق الصعود إلى ما يريد. بينما نعثر على بقية سيرته موزعة فى كثير من كتاباته الأخرى مثل: روايته «أديب» التى يستشهد بها عمار نفسه أثناء حديثه عن رحلته إلى باريس، كما أن طه حسين كتب عن الزيارات والرحلات التى قام بها إلى البلدان المختلفة فى الشرق والغرب، فى مقالات له، نشرت فى الصحف والمجلات المختلفة. وهو الأمر ذاته الذى يقوم به عمار فى كتابه "ألف نافذة" الذى يسرد فيه زياراته للبلدان المختلفة، حيث المنتديات، والملتقيات العلمية، والسياسية التى دعى إليها؛ لكى يدلى بدلوه فيها، والاستفادة من قراءته الاجتماعية، والسياسية للأحداث بوصفه متخصصًا فى علم الاجتماع السياسي، وكذلك أديب له العشرات من الأعمال الإبداعية المتنوعة بين الرواية، والقصة القصيرة، والمسرح، والشعر.

أدب الرحلات

والأمر الثانى الذى يجدر الحديث عنه هنا هو الجنس الأدبى الذى اختاره عمار على حسن، ليسرد فيه جانبًا من حياته المعاصرة، وطبيعة عمله، ورحلاته، ونظرته للناس، ألا وهو أدب الرحلات، الذى يعد من أقدم الأنواع الأدبية، وتتسع دائرته لتشمل فنونًا كثيرة. وقد اهتمت به حتى السير الشعبية، وهو جزء لا يتجزأ منها، فلا يمكن لبطل من أبطال السيرة أن يحصل على مكانته الكبرى بين قومه، دون أن تكون له رحلات مختلفة تكسبه الخبرة اللازمة لمعرفة طبائع البشر، وكيف يتعامل مع مواطن الخطر، ليكون صالحًا لقيادة قومه، وعبور الأزمات بهم. فعنترة بن شداد يرتحل من أجل النوق الحمر لابنة عمه، وحمزة البهلوان من أجل مهر مهردكار، وفيروز شاه من أجل عين الحياة، وسيف بن ذى يزن لحبيبته شامة، والسيرة الهلالية قائمة فى جلها على تغريبة بنى هلال ورحيلهم من نجد إلى المغرب العربي. وفى ألف ليلة وليلة هناك رحلات سندباد البحرى وأيضًا سندباد البري، كلها حكايات تكشف عن تطلع الإنسان القديم ما قبل انتشار التكنولوجيا الحديثة إلى معرفة العالم، وما فيه من غرائب. وإشباعًا لهذه الغريزة؛ بنيت الحكايات الشعبية، التى لم تهتم فقط بعالم البشر؛ بل ذهبت إلى بلاد الجن وعالم ما وراء الطبيعة.

عصر الرقمنة

هذا الولع بمعرفة الآخر، وجوانب الكرة الأرضية، وأحوال أناسها، غطته الحكايات الشعبية. وكذلك انتبه إليه الأدب الرسمى فى العصور المختلفة، فنرى الرحلات التى قام السيرافي، وسلام الترجمان، والإدريسي، وعبداللطيف البغدادي، وابن بطوطة، ورفاعة رافع الطهطاوى فى تلخيص الإبريز، وتوفيق الحكيم فى زهرة العمر، التى يتناول فيها جانبًا من حياته فى باريس فى صورة رسائل. إلا أن هذا الجنس الأدبى تأثر كثيرًا مع ظهور وسائل التواصل الحديثة، وسهولة التنقل بين القارات المختلفة. وهو ما يشير إليه عمار على حسن نفسه، منذ البداية، لأنها تحدٍّ لا يمكن إغفاله، وتساؤل لا يمكن تجاهله حول أهمية هذا الجنس الأدبى فى عصر الرقمنة الحالي، الذى تشاهد فيه العالم بأسره دون أن تغادر مقعدك، فيقول بأنه «رغم تدفق الصور فى عالم يعيش فى ثورة اتصالات، حولته إلى غرفة صغيرة، فإن الجالس فى مكانه ومهما تسارعت الصور أمام عينه، وانهمرت فوق رأسه، لا يمكنه أن يصل إلى المعانى التى تحصل عليها مسافر ذو بصيرة». ويشير إلى أن النهج الذى انتهجه فى الكتابة عن أسفاره لا يصف كل ما شاهده؛ لأنه مهما بلغ وصفه من الدقة والاقتدار، فلن يكون على قدر ما ماثل فى الطبيعة، لأن أى لفظ أو قول أو كلام مهما كانت بلاغته يقيد المعنى، وليس بوسعه أن يهزم الصور والأقلام المتاحة بلا انقطاع على المنصات الرقمية، بينما يظل الشيء الأهم بالنسبة له رصد كيف يتعايش الناس رغم اختلاف القيم، والأفهام، ودرجات الوعي، والمصالح، والغايات الفردية، وكيف يتجاور القديم مع الجديد فى المدن، ليثبتا أن الماضى لم يذهب، واندمج مع حياتنا المعاصرة. ويحاول عمار على حسن، من خلال هذه المنهجية فى الرصد، تجاوز ما يمكن أن يصل إليه الإنسان الآن، هو جالس فى بيته عبر الصور التى لم تكن متاحة من قبل بهذه الكثافة والغزارة، معتمدًا على رصد ما هو إنساني، وتجارب معاشة لا يمكن أن يمنحها إلا صاحب التجربة.

التداعي

وينطلق عمار فى سرده لرحلاته عما يعرفه عن هذه البلدان الذاهب إليها، وما ترسخ فى وعيه عنها من الكتب، أو ما شاهده فى الأفلام، فيقول عن رحلته إلى إنجلترا على سبيل المثال: « إنجلترا بالنسبة لى لم تكن فقط ما قرأته فى كتب التاريخ، لكنها أيضًا ما طالعته فى كتب الأدب، فمن بوسعه أن ينسى مسرحيات شكسبير وجورج برناردشو، وروايات سومرست موم، وأشعار جون كيتس وتوماس إليوت، وهى أيضًا فلسفة توماس هوبز والتصورات الاقتصادية العميقة لآدم سميث، وهى العبقرية السياسية لتشرشل...».

ويعتمد عمار فى سرده أيضًا على التداعي، فذكر دولة ما يحيله إلى كل ما يتبادر إلى ذهنه عن هذه الدولة، من حكايات، وشخصيات بارزة، ويربط بين الأحداث المتشابهة، فهو يعتمد على الذاكرة، وخبراته السابقة، وهو ما يوضحه قوله: «كل بلاد الناس سواء لمن يبحث عن الجمال فى النفوس والمناظر، لكنها لا تكون كذلك لمن ينبش فى ذاكرته، فبعضها راسخ كأنه جبل، وبعضها عابر كأنه سحاب». ويجسده أيضًا بداية حديثه عن باريس، بأن ينبش فى ذاكرته مستعيدًا كل ما يعرفه عن هذه المدينة «راحت باريس تعرض زينتها ووجعها فى نفسى أيام طفولتى كحال لوحة خالدة، رسمها فنان مقتدر على مهل؛ كى يجعلها فوق النسيان...». لتتوالى بعدها الحكايات التى عرفها عن باريس، من خلال ما كتبه طه حسين فى روايته "أديب" التى يتناول فيها حكاية إبراهيم عبدالله، ويطلق عليها الاسم الذى أطلقه عليها أحد أبطال الرواية بأنها «مدينة الجن والملائكة»، مشيرًا إلى أن هذا الوصف يليق بسحر باريس كما رآها. يحاول أن يستعيد ذكريات وأفعال المصريين الذين سبقوه إلى هناك. يحكى عن توفيق الحكيم ويسعى إلى زيارة الأماكن التى زارها. ويبدأ بعدها عمار بربط معارفه النظرية من خلال الكتب والأفلام، بمعرفته العملية على أرض الواقع من خلال زيارته الآنية لهذه الدول، ويحكى عن الوقائع والمشاهد التى عاصرها بنفسه فى تلك المدن، والنقاشات التى دارت، والرجال الذين قابلهم، ويكشف عن التشابهات بين البشر فى الغرب والشرق.

والأمر ذاته يكرره فى حديثه عن رحلته إلى تركيا، فيسترجع ما قرأه عنهم فى كتبه المدرسية، فى نهاية المرحلة الابتدائية، التى تتناول فتح العثمانيين لمصر عام ١٥١٧م بعد عام واحد من هزيمتهم السلطان الغورى فى موقعة مرج دابق وقتله تحت سنابك الخيل. ويستعيد من ذاكرته أن العثمانيين على مدار أربعة قرون فرغوا مصر من كل صناعها المهرة، وأرسلوهم إلى اسطنبول. ويذكر غناء خالته فى الحقل الذى يؤرخ لهذه الوقائع «متحسبنيش يا أمي.. حارسة الكمون.. حارسة كمون.. أنا فى عب الجندي.. رايحة إسطنبول.. رايحة إسطنبول». إرث قدم حفظه الأبناء من أجدادهم، وقد غاب عنهم معناه مع تطاول الزمن. عندما يزور مدينة الضباب يتذكر فيلم القلب الشجاع brave heart وكوبرى جسر لندن الذى علق عليه رأس البطل، يستعيد ما درسه فى المرحلة الابتدائية عن حملة فريزر وفشلها، وجلاء آخر جنودها عن مصر عام ١٩٥٤م، بعد احتلالها عام ١٨٨١م. وما صنعته خلال هذه المدة من جماعات دينية متطرفة، ما زالت علاقتها بهم وطيدة حتى الآن، ويعيشون فى كنفها. عن ألمانيا يبدأ حديثه عنها باستدعاء ما حكته له عمته، فى قريته فى وسط مصر، بأنهم انتظرو هتلر بالشوم (أى بالعصي) من أجل محاربته. فيما قالت عمة أخرى له: «كان الناس يقولون لو جه هرطل هنهرطله».

ويعد هذا التداعى للأفكار سمة أساسية، فى ثلاثية عمار على حسن المتمحورة حول الذات، وهى التقنية الأدبية التى اتكأ عليها فى السرد، راصدًا التشابه بين الإنسان، رغم اختلاف الأماكن، والشكل المعمارى للمدن، محاولًا سبر أغوار البشر على اختلاف أجناسهم وأعراقهم، مركزًا على الجانب الاجتماعي، وعلاقات هذه الدول بمصر وأهلها، ومدى ارتباطها بهم. مؤكدًا على فكرة أننا لا نعرف تاريخ الأمم فقط بكبار الساسة من الملوك والرؤساء؛ بل البارزين من علمائها، وأدبائها، ومفكريها، وفنانيها، الذين أثروا الحياة والفكر العالمى بإبداعهم الإنساني، الذى هو إرث لكل البشر، وليس حكرًا على دولة بعينها.

وتتفاوت مساحة الحكى لكل دولة زارها، حيث يفرد مساحة كبيرة لباريس؛ لما لها من تأثير كبير على الثقافة المصرية، والتى ابتعثت إليها البعثات، وهناك الكثير من الروابط المصرية الفرنسية، بينما تقل مساحة الحكى للدول الأخرى، حسب حضورها فى ذاته، متجنبًا التكرار ووصف ما هو معلوم بالضرورة للناس حول هذه المدن التى زارها. وفى الفصل الأخير المعنون "إخوة اللسان والتراب" يجمع كل حكاياته عن الدول العربية التى ذهب إليها، فى فصل واحد مترابط، دون أن يجعل بينها فاصلًا كما فعل مع الدول الأخرى، فى إشارة إلى وحدة الدول العربية من المحيط إلى الخليج.

د. عبدالكريم الحجراوي

«زود حبة كمان».. عن العملات القديمة فى مصر

إذا فَسُدَ ملح النقد فَسُدَتِ الذّائقة العامّة واختلط الحابل بالنابل والغثّ بالسمين والإبداع بنقيضه

الريال بوطاقة والريال أبو مدفع أسماء مصرية لنقود أجنبية إسبانية وألمانية جرى تداولها فى مصر

ترتبط الكثير من الأمثال والألفاظ التى نتداولها، بحقب زمنية قديمة، وسياقات ثقافية متشعبة، وعلاقات اقتصادية واجتماعية اندثرت مع الأيام، مما يجعلها تشبه المتحجرات الجيولوجية، تحتفظ فى نواتها بماضٍ سحيق، يتكشف لنا مع الملاحظة والتدقيق.

ومن بين هذه المتحجرات اللغوية التى تكشف عن نمط اقتصادي، كان شائعًا لقرون فى مصر، وهو استخدام كلمة «حبة» فى صيغ، مثل: أن يقول المشترى للبائع «زود حبة كمان»، أو «نقص حبة»، أو المثل القائل «زود حبة تزيد محبة». مما يطرح التساؤل حول علاقة «الحبة» بالمكيال والميزان، وهل كانت الحبة معيارًا للوزن؟

هذا ما تكشفه كتب التراث، وربما كان أمرًا لا يسترعى الانتباه، منذ قرنين من الزمان، ولا يستدعى هذا التساؤل من الأساس، عندما كانت الحبوب بالفعل هى المعيار الذى توزن به الحبوب، إذ كان يقدر أهل الاختصاص وزن هذه العملات التى تختلف تسمياتها، عبر العصور، وكذلك أوزانها.

▯ة الخروب

يكشف المقريزى فى كتابه «الرسائل» عن هذه العلاقة بين النقود والحبوب، إذ أنها كانت وسيلة وزن كل عملة من العملات، فيجرى معايرة الوزن من خلال الحبة، فعلى سبيل المثال: كان وزن القيراط ٣ حبات من الشعير متوسطة الحجم، والمثقال ١٠٠ حبة من الخردل البرى متوسط الحجم، وكان يختلف وزن ونوع الحبوب التى يجرى المعايرة بها، فالدرهم كان يساوى ٥٠ حبة، والدينار ٧٢ حبة، وفى بعض الأوقات كانت تجرى المساواة بين الدرهم والدينار، فى عدد الحبوب، مع اختلاف مادة الصنع، الفضة للدراهم، والذهب للفضة، وفى مصر بعهد السيوطى كان وزن الدرهم ١٨ حبة خروب، وتزن حبة الخروب ٣ حبات من القمح، بينما كان وزن المثقال ٢٤ حبة من الخروب.

وعبر تاريخ مصر، تنوعت العملات التى استخدمها المصريون، التى تعرفنا دراستها بجزء من التاريخ، ووقائعه، وأحداثه المختلفة، وأسماء الحكام، وألقابهم، ومدى تقدم وتدهور الاقتصاد فى عهدهم. وقد عرف المصريون عملات عدة، عبر تاريخيهم، من الدينار الذى يرتبط بالعملات الذهبية، والدرهم المرتبط بالعملات المصنوعة من الفضة، والبرونز والنحاس فى عصر الكساد الاقتصادى المملوكي.

زر المحبوب والفندقلى أسماء للعملات الذهبية التى ميزت مصر العثمانية

النقود الذهبية

لم تعرف مصر – طبقًا لما ينقله المقريزى – طوال تاريخيها حتى وصول صلاح الدين الأيوبي، عملة من العملات يجرى تداولها بشكل رسمي، سوى العملات الذهبية فقط. أول عملة ذهبية خاصة بمصر فى عهدها الإسلامى عرفت باسم: «الدينار الأحمدي»: نسبة إلى أحمد بن طولون، الذى سك عملة باسمه بعد أن استقل بحكم مصر عن الدولة العباسية عام ٢٥٤هـ، ٨٦٨م.

وهناك «الدينار المعزي» نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي، الذى سك دنانير ذهبية باسمه عام ٣٨٥هـ، ٩٦٩م.

وفى عهد الناصر فرج خرج «الدينار الناصري» نسبة إلى الناصر فرج بن السلطان برقوق، أول مملوك شركسى يصعد إلى الحكم فى مصر، وسكت عام ٨٠٨ه، ١٤٠٥م.

وفى العهد العثمانى ظهرت عملة ذهبية ظلت مستخدمة حتى وصول الحملة الفرنسية «الفندقلي/ الفندقي»، أو «السكين» نسبة إلى البندقية.

واستخدمت أيضًا محليًا فى هذا العصر، عملة تسمى «زر محبوب» وهى عملة ذهبية أيضًا، وكلمة «زر» فارسية تعنى الذهب أى ذهب المحبوب، وكانت متداولة إلى جانب الفندقلي، لكن يختلفان فى الوزن والقيمة، وكان يطلق على النصف منها اسم «نصفية»، والربع «ربعية»، أي: نصف زر محبوب، وربع زر محبوب.

النقود الفضية

وعرفت مصر أيضًا فى وقت متأخر نسبيًا، فى عهد صلاح الدين الأيوبي، الدراهم، أي: العملات المصنوعة من الفضة والبرونز؛ لأنه قبل قدوم صلاح الدين الأيوبى ٥٦٧ه ١١٧١م – كما ذكرنا سابقًا – كانت العملات الذهبية وحدها، هى العملة القانونية والمشروعة فى مصر. وحملت هذه الدراهم أسماء الملوك والأمراء الذى حكموا مصر.

«الدرهم الناصري» وضُرب عام ٥٨٣هـ، ١١٨٧م نسبة إلى الناصر صلاح الدين الأيوبي، كأول درهم عرفته مصر بشكل رسمي.

«الدرهم الكاملي» إلى نسبة إلى الكامل ناصر الدين ٦٢٢ه، ١٢٢٥م.

«الدرهم الظاهري» نسبة إلى الظاهر بيبرس ٦٥٨هـ، ١٢٦٠م.

«الدرهم المحمودي» نسبة إلى الأمير محمود بن على سنة ٧٨١هـ، ١٣٧٩م.

«الدرهم المؤيدي» وهو آخر الدراهم التى سكت فى مصر عام ٨١٨هـ، ١٤١٥م.

عملات أجنبية

بخلاف الدراهم المصرية المسكوكة فى مصر السابقة، عرفت مصر دراهم قادمة إليها من الخارج؛ وأشهر هذه الدراهم:

«الدرهم البغلي» والمعروف أيضًا بالدرهم

الفلوس عملة اعتبرها المقريزى عارًا على المصريين وتمنى زوال تداولها

الأسود، وهو عملة فارسية عرفت باسم البغلى – كما ينقل المقريزى – نسبة لشخص كان يسكها، يطلق عليه العامّة فى بلاد فارس اسم رأس البغل. أما اسم الأسود فبسبب الشكل الذى تكون عليه هذه العملة، مع تقادم العهد، فتتحول إلى اللون الأسود؛ بسبب التفاعلات الكيميائية مع الجو، وتمييزًا لها أيضًا عن الدرهم الطبرى الأبيض.

«الدرهم الطبري» الذى يستمد اسمه من طبرية.

«الدراهم اليمنية» القادمة من اليمن، والتى تستعمل فى التجارة معها.

«الدراهم المغربية» القادم من بلاد المغرب.

«القرش الإسباني» هو أحدث فى الاستخدام من العملات السابقة، وكثر استعماله فى مصر قبيل قدوم الحملة الفرنسية.

«التالر الألماني» وتعرف باسم الرسدال أو الريال، وكان شديد الانتشار فى مصر كذلك، إبان الحملة الفرنسية، وكان يساوى قيمة القرش الإسباني، ويجرى الاستبدال بينهما بسهولة، وإن كانت قيمة التالر الألمانى تكون عادة أعلى قليلًا؛ بسبب دقة صنعه، ووزنه الأكبر من القرش الإسباني.

ومن المهم هنا أن المصريين كان يطلقون على هاتين العملتين اسم «الريال» وهى تحريف لكلمة الرسدال، ويطلقون على كل منهما اسمًا خاصًا يميزه عن الآخر.

«الريال أبو مدفع» وهو الاسم الذى أطلقه المصريون على القرش الإسباني؛ لأن على أحد وجهيه أعمد تشبه المدافع.

«الريال بوطاقة» ويطلق على التالر العملة الألمانية، ويعنى الريال المرسوم عليه طاقة (التى تعنى نافذة أو شباك)؛ لأن على أحد وجهى العملة عقاب مقسوم على أربعة أجزاء، تشبه المشربيات المصرية والطاقات.

«القروش» وهى عملة مصرية من الفضة، سكها على بك الكبير، لم يكتب لها الشيوع، وكانت لها فئات متعددة تساوى ٢٠ و ٤٠ و٨٠ و١٠٠ مديني، وألغيت وسحبت من الأسواق بعد هزيمة على بك الكبير، وأعادت الحملة الفرنسية سكها عام ١٧٩٨م، ١٢١٣هـ.

واختلف وزن كل نوع من هذه الدراهم التى جرى تداولها فى مصر، منذ الفتح الإسلامي، فعلى سبيل المثال: الدراهم السوداء التى ألغى صلاح الدين الأيوبى التعامل بها، كانت شديدة الثقل، وذات معيار عالٍ، ثم سكّ الكاملى نوعًا من الدراهم تحت اسمٍ «أوراق» التى يُعتقد أن عملة «المديني» – التى ظلت تستخدم فى مصر حتى قدوم الحملة الفرنسية – قسم منها. وكانت هذه العملة (المديني) خفيفة جدًا، لدرجة أنه يمكن أن يجمع الألف منها فى قاع قرطاس، وأى نفخة هواء قادرة على أن تبعثرها. وينقل علماء الحملة الفرنسية فى كتاب وصف أن أصل تسمية مديني يرتبط بدراهم المؤيدي، التى حرفتها العامة تخفيفًا إلى الميدى أو المديني.

النقود النحاسية

لم تكن العملات المصنوعة من النحاس فى مصر، ذات قيمة عالية، ولم يكن المصريون يفضلونها، وقد عبّر المقريزى عن ضيقه الشديد من استخدام هذا المعدن كعملة فى مصر، وذكر فى رسالته شعوره بالعار لمجرد تدوين ذلك الأمر، فيقول فى رسالته عن النقود النحاسية وضيقه منها:

«وأما الفلوس، فإنه لم تزل سنة الله فى خلقه وعادته المستمرة، منذ كان الملك إلى أن حدثت الحوادث والمحن بمصر، منذ سنة ست وثمانمائة، فى جهات الأرض كلها، عند كل أمة من الأمم،... أن التى تكون إثمانا للمبيعات، وقيم الأعمال، إنما هى الذهب والفضة فقط. ولا يعلم فى خبر صحيح ولا سقيم عند أمة من الأمم، ولا طائفة من طوائف البشر، أنهم اتخذوا أبدًا فى قديم الزمان ولا حديثه، نقدًا غيرهما،... وتالله، إن هذا الشيء يستحيى من ذكره؛ لما فيه من عكس الحقائق، إلا أن الناس لطول تمرنهم عليه ألفوه، إذ هم أبناء العوائد، وإلا فهو فى غاية القبح، والمرجو أن يزيل الله عن بلاد مصر هذا العار، بحسن السفارة الكريمة».

وبدأ ظهور العملة المصنوعة من النحاس، إبان الظاهر برقوق المملوكى ٧٨١هـ ١٣٧٩م، وكانت تعرف العملة المصنوعة من النحاس باسم «الفلوس» تلك اللفظة التى ستصبح علمًا فيما بعد على أى نوع من أنواع النقود فى مصر حتى الآن، سواء التى كانت مصنوعة من الذهب، أو الفضة، أو من الورق فى أيامنا هذه.

د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
العدد 339 - السنة الرابعة عشرة -الأحد 25 مايو 2025 م الموافق 27 ذو القعدة 1446 هـ

قالت العرب

"من يدخل الجنة اولاً؟ من مات برصاص العدو ام من مات برصاص الأخ؟ بعض الفقهاء يقول: رب عدوٌ لك ولدته أمك"

شعراء العامية طوعوا اللغة الدارجة لكتابة الأفكار الفلسفية العميقة

برهنوا على أن لغتهم قادرة على حمل الصور والرؤى الشعرية العالمية

قدَّم شعراء العامية المصرية منتجًا إبداعيًا فذًّا، يلامس فى نماذجه العليا ضفاف الشعرية العالمية الحديثة، ويقف كتفًا بكتف مع شعر الفصحى. عبروا من خلالها عن قضايا ورؤى فلسفية كان يُعْتَقد أن اللهجات المحلية لا تستطيع أن تحملها، مفجرين طاقات من الجمال اللغوى عبر لسان الشعب، وكانوا الأقدر على التعبير عن مشاعره، وأحلامه، وطموحاته. ذلك ما يثبته كتاب «جماليات شعر العامية بين الإبداع والتلقي» (الهيئة العامة لقصور الثقافة) للعلم الكبير أحمد مجاهد، الذى يبدؤه بإثارة قضية مهمة، تتعلق بالتهميش النقدى على المستويين الأكاديمى والإبداعي، لشعر العامية المصرية، رغم منجزه الإبداعى الغزير، والمهم، والمتواصل، لأكثر من قرن، عبر مجموعة من الأجيال، مُرْجعًا ذلك التهميش إلى أن رواد الموجة الأولى والثانيَة، على الأقل، من شعراء العامية الذين انتموا إلى اليسار السياسي، وكثير منهم تعرض للاعتقال لسنوات، كما أن مؤسسات النشر الرسمية، والمجلات الثقافية والأكاديمية، تضافرت مع موقف الدولة السياسى منهم؛ فمنعت نشر أعمالهم. ويمكن إضافة سبب ثالث عام، يتعلق بضعف الحركة النقدية بشكل عام، وعدم قدرتها على مواكبة إبداع المبدعين، سواء كان ذلك فى الشعر، أو السرد، أو المسرح، أو السينما.

يقف مجاهد، فى كتابه، أمام منتج مجموعة من شعراء العامية المصرية الكبار، الذين فرضوا أسماءهم على الساحة الأدبية العربية؛ من بيرم التونسي، وفؤاد حداد، وصلاح جاهين، وعبدالرحمن الأبنودي، وأحمد فؤاد نجم، وسيد حجاب، وفؤاد قاعود، وزين العابدين فؤاد، وتتفاوت مساحة تناوله لإبداع كل شاعر منهم داخل الكتاب.

أحمد فؤاد

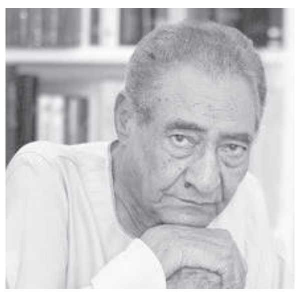
الأبنودى

بيرم التونسى

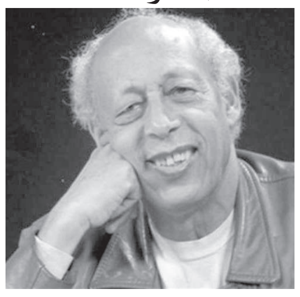
زين العابدين فؤاد

صلاح جاهين

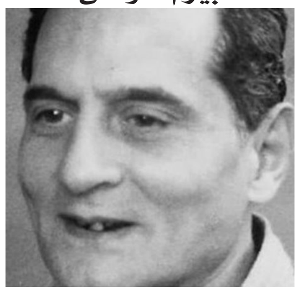
فؤاد حداد

فؤاد قاعود

أحمد مجاهد: شعر العامية المصرية حداثة تتخطى حاجز الازدواج اللغوي

الأيديولوجيا

يشترك شعراء العامية المصرية فى مجموعة من الخصائص؛ من بينها: الحس السياسى العالي، والثورية والتحريض ضد الظلم والفساد، والوقوف فى صف الشعب، فكثير من هؤلاء الشعراء تعرضوا للاعتقال، مثل: فؤاد حداد الذى اعتقل مرتين، وكذلك زين العابدين فؤاد، وأحمد فؤاد نجم، ومن لم يسجن منهم عانى من التضييقات الأمنية، والنفى خارج البلاد، مثل: بيرم التونسي، فقد كانت الحكومات تشعر بخطورة أشعارهم؛ لسرعة سريانها على الألسن، مما يشكل رأيًا عامًّا رافضًا لبعض القرارات السياسية، فالجانب الثوري، والأيديولوجي، والاشتباك مع الشأن العام، واضح فى منتجهم الشعري، فاختيار هؤلاء الشعراء للعامية كان هدفه الأساسى رغبتهم فى إيصال رسائلهم إلى العامة؛ لذا كتبوا بلغتهم من أجل توعيتهم.

الموروث الشعبي

ونتيجة لاشتباك شعراء العامية مع الشأن العام؛ فإنهم اشتبكوا مع الموروث الشعبى المصري، فكانوا الأكثر تأثرًا به ومجاراة له فى بعض الأحيان، فكثير من النقاد يعتبرون بيرم التونسى حلقة الوصل بين الزجل وبين شعر العامية الحديث، فقد عرفت مصر الكثير من الزَّجَّالة؛ منهم على سبيل المثال: محمد عثمان جلال (١٨٢٨ : ١٨٨٩) الذى ترجم مسرحيات موليير بالزجل المصري، وكذلك تراجيديات راسين، فقد كان شعر بيرم فى جزء كبير منه، له طابع زجلي؛ بحكم نشأته فى الأحياء الشعبية، لكنه منحه قبسًا من الشعرية الحديثة، التى تتجلى فى أغانيه، خاصة تلك التى غنتها له أم كلثوم، وكان اللبنة الأولى فى جدار شعراء العامية المصرية الكبار، فيصفه فؤاد حداد فى إحدى قصائده: «هو اللى سابق فى مجال الميدان.. هو اللى رافع للحوارى ديوان.. هو اللى قايل قبل هذا الآوان.. الفلاحين والشعب عين الأعيان» فيعترف له فى هذا المقطع بالسبق فى مجال القصيدة العامية، وأنه كان لسان الشعب، ولم يكن لسان الحكام فى شعره.

العديد

وكما استفاد شعراء العامية من الزجل الشعبى للتعبير عن هموم الشعب، استفادوا أيضًا من مجموعة من الأشكال الشعرية الشعبية؛ مثل: «العديد» أى المربعات التى تقال فى رثاء الميت، ومن نماذجه الشعبية: «بين اللحود لا بير ولا خلوة.. ولا ساقية تتسبح الحلوه.. بين اللحود لا بير ولا جنينة.. ولا ساقية تتسبح الزينة» فعلى غراره رثى صلاح جاهين بيرم التونسى «مين اللى مات يا شب يا أبو دموع.. قالت عروس الشعر للموجوع.. مين اللى مات يا شب قل لى يا أخويا.. قالت عروس الشعر ليكون أبويا.. أنا قلت أبونا كلنا يا صبية». يرثى صلاح جاهين بيرم بوصفه أبا لشعراء العامية كلهم.

ويستفيد من فن العديد، الشاعر زين العابدين فؤاد، فى رثاء الجندى المصرى «سليمان خاطر»، متبعًا تقاليد العديد الشعبى قائلًا: «يا وردة نابتة فى حجر صوان.. النيل كساها بحمرة الفيضان.. والنيل يفيض بالخلف يا سليمان.. من سينا يجرى يرتمى فى أسوان».

السير الشعبية

لم يتوقف اتكاء شعراء العامية على أشكال الشعر الشعبية المعروفة فى مصر؛ بل امتد إلى استدعاء أبطال السير، وحكايات ألف ليلة وليلة، والحكايات الشعبية، ويظهر ذلك جليًّا فى أعمال شعراء العامية، فيقول أحمد مجاهد عن تجربة الأبنودي: «لعل ولع عبدالرحمن الأبنودى بالسيرة الهلالية، هو ما دفعه إلى كتابة حوارياته فى ديوان «جوابات حراجى القط» ١٩٦٩م «وبعد التحية والسلام» ١٩٧٥م، وذلك قبل الانتقال إلى كتابة دواوين القصيدة الواحدة التى تشبه الملاحم؛ مثل: وجوه على الشط ١٩٧٥م، الموت على الأسفلت ١٩٨٨م، الاستعمار العربى ١٩٩١، إلى أن ختم مسيرته الشعرية بديوان «مربعات» فى ٢٠١٤م، الذى يحاكى فيه بنية مربعات السير الهلالية، كما صاغها الشاعر الشعبى الشهير جابر أبو حسين».

الفاجومي

ويتجلى أثر التراث الشعبى فى شعر أحمد فؤاد نجم، الذى يلقبه مجاهد باسم «سندباد التراث الشعبي»، ويراه الامتداد الحقيقى للمعلم الأول بيرم التونسي، والأكثر التصاقًا بمشروعه من أى شاعر عامية مصرى آخر، يشبهه فى سلاسته اللغوية، وحسه الفكاهي، وفى رؤيته الناقدة للمجتمع والسياسة، فقد تربى منذ الصغر فى بيئته الشعبية على رواة السير الشعبية، والمواويل، والموالد، وغيرها من المظاهر، فقد كان مولعًا فى شعره بهذا التراث، فيصف حراس معتقله «واقفين بالقيد.. كتفوا عنتر وأبو زيد.. ويهينوا دياب» صانعًا إسقاطًا بينه وبين أبطال السيرة الهلالية، وكيف جرى التنكيل بهم فى هذا الزمان.

المسرح الشعرى العامي

وإذا ما انتقلنا إلى المسرح الشعرى العامى فى مصر، الذى قام على أكتاف هؤلاء الشعراء، بداية من بيرم التونسي، ومرورًا بفؤاد حداد ومتولى عبداللطيف، ونجيب سرور، ووصولًا إلى صلاح جاهين، سنجد أن التراث الشعبى هو الركيزة الأساسية التى قام عليها مسرح هؤلاء الشعري، فقد نهل بيرم من السيرة الهلالية فى مسرحية «عزيزة ويونس»، ومن اللغة الشعبية السوقية بلغتها القارحة فى مسرحية «شهرزاد»، ومن أجواء ألف ليلة وليلة فى مسرحية «ليلة من ألف ليلة»، ومن الحكاية الشعبية أخذ حداد وصاحبه عبداللطيف مسرحيتهما «الشاطر حسن»، وعلى قصة «ياسين وبهية» صنع نجيب سرور رباعيته المسرحية «ياسين وبهية، آه يا ليل يا قمر، قولوا لعين الشمس، يا بهية وخبريني»، واعتمدت مسرحية «ليلى يا ليلى» لصلاح جاهين على قصة مجنون ليلى. ولم يكن توجه شعراء العامية إلى التراث الشعبى (سواء فى شعرهم أو مسرحهم) ببعيد عن سبب اختيارهم العامية للكتابة؛ وهو البعد التوعوى للناس، من خلال أمثلة ونماذج يعرفونها، وليست غريبة عنهم، وللانحياز والكشف عن عبقرية السليقة الشعبية، التى أبدعت تلك الحكايات السردية، والفنون القولية الشفاهية المختلفة. كما أن بعضهم كان يرفض الفصل بين العامية والفصحى، مثلما كان يقول فؤاد قاعود: «لقد آن لنا أن نتخلص من هذا الخطأ الشائع والوهم الباطل، فليس هناك شيء بهذا الاسم - أى اللغة العامية -، هناك لغة واحدة هى العربية، وليست لهجتنا إلا قراءة مصرية للعربية».

الرؤية الفلسفية

وتأثر شعراء العامية أيضًا بالتراث العربى الفصيح، والتراث العالمى شعره ونثره، بل مع ظهور فؤاد حداد أخذت القصيدة العامية شكلًا مغايرًا عما قبل، من تطويعها لكتابة الأفكار الفلسفية العميقة، مثلما هو الحال فى قصائده، وكذلك فى بعض رباعيات صلاح جاهين إذ يقول: «جالك أوان ووقفت موقف وجود.. يا تجود بده يا قلبى يا بده تجود.. ما حد يقدر يبقى على كل شيء.. مع إن عجبى كل شيء موجود»، مربع يتناول قضية الوجود بمعناه الفلسفي. ويشير إلى عطيل شكسبير، فى قصيدة أخرى، فيقول: «عنتر من الغرب أسمر يندهوله عطيل.. ضلل على ديدمونة وشالها فى عينه شيل». وتلك الخصيصة لازمت كثيرًا من شعراء العامية، الذين يدرسهم كتاب «جماليات شعراء العامية»، ولمسها صلاح جاهين فى شعر فؤاد قاعود، فقال عنه «بأنه تأثر بالمتنبي، فكثر فى شعره الفخر والتعالي، وتأثر بالمهجريين فنحا نحوهم فى الشعر الفكرى الذى يناقش الفلسفة، وتأثر بعصره فأصبح واحدًا من الذين يعملون على أن تصبح العامية لغة أدبية، تستطيع أن تحمل فى أحشائها كل الصور والرؤى الشعرية العالمية»، فقد كان قاعود مغرمًا بالفلسفة فلا يجد غضاضة فى إعادة صياغة أبيات أبى العلاء المعري، حيث يقول: «زغاريد دى ولا صوات ما دلوني.. ونزلت أجرى بهمه وعناية.. لقتنى ناسى همه بعتوني.. لجل الحانوتى ولا للداية» ذلك المقطع الذى يحيل إلى قول أبى العلاء:

غير مجد فى ملتى واعتقادى ... نوح باكٍ ولا ترنم شادي

وشبيه صوت النعى إذا قيس ... بصوت البشير فى كل نادي

ويحيل قوله «فى مدخل الشتا ... تتزاحم الصور على سن القلم ... كأنها طيور... أهش منها اللى أهشه خارج الورق ... واللى ارتطم فى القلب يخلق سطور» إلى ما قاله امرؤ القيس:

أذود القوافى عنى ذيادا ... ذياد غلام جريء جوادا

فلما كثرن وعنينه ... تخيّر منهن ستًّا جيادا

فأعزل مرجانها جانبًا ... وآخذ من درها المستجادا

نفس الحالة الشعورية مر بها الشاعران، رغم تباعد القرون، حول تكالب الأفكار والقصائد فى عقل الشاعر، ولا يختار فى النهاية سوى ما يراه جيّدًا منها.

شعراء الفصحى

وإذا كان شعراء العامية تأثروا بشعراء الفصحى، فنجد أن العكس قد حدث أيضًا، فيرصد مجاهد فى كتابه مجموعة من المعانى والصور الشعرية، التى سبق فيها شعراء العامية أقرانهم من شعراء الفصحى، فمن الأمور التى تحسب للدكتور مجاهد فى هذا الكتاب، هى قدرته على التقاط التناص بين الشعراء وبعضهم البعض، فصحى وعامية، قديمهم وحديثهم، سواء كان عربيًّا أو غربيًّا.

مثل: تأثير سيد حجاب فى قصيدته «تنويعات على الساكسفون» التى يصف فيها الفلاحين الزنوج فى أمريكا الجنوبية، التى يقول فيها: «مدينة الأسفلت والحديد، باتوه أنا، بتصبح المدينة غابة، مين يحوش..»، مع تجربة أحمد عبدالمعطى حجازي، وقصائده فى مرحلة صدمة المدينة، وخاصة قصيدة «لا أحد»، وكذلك الأمر يتكرر بين قصيدة «تنويعات على الجيتار» التى يذكر فيها لوركا، وما جاء فى قصيدة حجازى «جيرنيكا أو الساعة الخامسة»، وأيضًا يلمح هذا تأثير حجاب فى شعر أمل دنقل. بل يمد مجاهد تأثير شعراء العامية إلى أبعد من ذلك، مثل: تأثر أحمد شوقى فى قصائده العامية، بشعر بديع خيرى وبيرم التونسي، فقد أعجب أمير الشعراء أحمد شوقى بعامية بيرم، فقال: «لا أخشى على اللغة العربية الفصحى إلا من أزجال بيرم التونسى التى يكتبها بالعامية»، وعمل من الأغانى والمواويل، كان أولها عام ١٩٢٤م «قلبى غدر بي، على قلبى استعنت بالله»، وفى ١٩٢٥ كتب مواله «سيد القمر فى سماه والبان فى عوده»، كتب أيضًا مجموعة من الأغانى مثل: «دار البشاير مجلسنا» التى لحنها وغناها محمد عبدالوهاب، أو أغنيته «الليل بدموعه جاني» التى كتبها عام ١٩٢٧م، وأغنية «بلبل حيران»، وأغنية «فى الليل لما خلي»، و«النيل نجاشي».

د. عبدالكريم الحجراوي

طريقة لعمل العقل ستغير منظورك عن الحياة

هل تساءلت يومًا لماذا تظهر بعض الأشياء فى حياتك أكثر من غيرها؟

يقول جيم كويك، أبرز مدربى المخ فى أمريكا، فى كتابه (اللامحدود): «ظلت أختى ترسل لى بطاقات، وصورًا، ورسائل بريد الكتروني، عليها كلاب باج، تلك السلالة ذات الوجوه الناعمة والعيون الجاحظة. إنها مطيعة للغاية، يمكنك أن تلبسها زى راقصة الباليه، ولن يبالوا. تساءلت بالطبع لماذا كانت ترسل لى صور كلاب الباج؟ وبعدها تذكرت أن يوم ميلادها كان قد أوشك، وبات من الجلى أنها تترك الدليل؛ لأنها تريد واحدًا.

فى وقت لاحق من اليوم نفسه، كنت أدفع الحساب فى أحد محلات الطعام الصحي، وكنت أنظر ناحية الطابور الآخر للحساب، عندما تفاجأت برؤية امرأة تحمل جروها (الباج) على كتفها. فكرت: يا للعجب! لم أكن قد رأيت واحدًا من أولئك لفترة طويلة، لم أكن أتوقع ذلك.

فى اليوم التالى خرجت للجرى فى الحي، ورأيت شخصًا يمشِّى ستة كلاب (باج)

ويأتى السؤال: من أين جاءت كل كلاب (الباج) تلك؟ هل ظهرت بشكل سحري؟ بالطبع لا. لقد كانت هنالك دائمًا. ولكن مع فيضان المثيرات الحسية، لم أولِ اهتمامًا لأى منها من قبل. بينما عندما عَبَرت كلاب الباج لوعيي، بدأت أراها فى كل مكان.

هل مررت بتجربة مشابهة من قبل؟ ربما كانت نوعًا معينًا من السيارات، أو الملابس، التى بدأت فى الظهور فى كل مكان (بشكل سحري)».

يعزو (كويك) تلك الظاهرة إلى (نظام التنشيط الشبكي) فى الدماغ، يقول: «تجمع حواسك كل ثانية، ما يصل إلى ١١ مليون بيت من المعلومات من العالم حولك. وطبعًا، إذا حاولت ترجمتها وفكها جميعًا فى الوقت نفسه، ستكون كالغريق فى دوامة. لهذا السبب؛ فإن المخ فى الأساس جهاز حذف، حيث أنه مصمم ليُبقى المعلومات فى الخارج. فى المتوسط، يتعامل العقل الواعى من ٥٠ بيتا من المعلومات فقط.

ما المعلومات التى تمر من خلال المرشح (الفيلتر)؟ هى تلك التى يحددها نظام التنشيط الشبكي. هذا النظام مسؤول عن عدد من الوظائف؛ منها: النوم، والتعديل السلوكي. كما أنه يحرس بوابة المعلومات من خلال عملية تسمى بالأقلمة؛ وهى تسمح للعقل بتجاهل المثيرات المكررة، والتى لا معنى لها، ويظل حساسًا للمُدخلات الأخرى».

إذن كيف نستطيع التحكم فى الأمر؟

يقول كويك: «أحد طرق إرشاد نظام التنشيط الشبكي، هى الأسئلة التى نسألها لأنفسنا، فهى التى تخبر هذا الجزء من مخنا بما هو مهم بالنسبة إلينا». كما تساءل هو عن سبب إرسال أخته لصور كلاب (باج) فظل يراها فى كل مكان.

ويستطرد: «إذًا فى الغالب ما تكون الإجابات التى نريدها موجودة، لكننا لا نسأل الأسئلة المناسبة لتسليط الضوء عليها، نسأل بدلًا منها أسئلة لا فائدة منها أو أسوأ، أسئلة سالبة للقوة. لماذا لستُ ذكيًّا كفاية؟

لماذا لستُ ماهرًا كفاية؟ لماذا لا يُمكننى فقدان الوزن؟ لماذا لا يُمكننى إيجاد الشخص المقدر لى أن أكون معه؟

نحن نسأل أسئلة سلبية كتلك، وبعدها تلك الأسئلة تعطينا أدلة كإجابات (أدلة على أنك لست ذكيًا كفاية، لست جيدًا كفاية... وما إلى ذلك).

فالعقل الإنسانى دائمًا ما يعمم حتى يجعل الحياة منطقية. وأينما ننظر نجد دليلًا يؤكد على أفكارنا الموجودة مسبقًا».

يقول نابليون هيل، أحد أبرز كُتاب أمريكا فى الثراء واستراتيجيات النجاح: «سواءً ظننت أنك تقدر، أو ظننت أنك لا تقدر، انتَ على حق». منطقيٌ جدًا؛ لأنه إن ظننت أنك تقدر أو تساءلت (كيف أقدر؟) سيسمح عقلك للإجابات بالمرور إلى وعيك، سيعطيك كل الأدلة على مقدرتك، ويُريك الفرص التى يمكنك أن تقتنصها الآن. بينما إن ظننت أنك لا تقدر، سيعطيك عقلك المزيد والمزيد من الأدلة، ويُريك عشرات العراقيل التى تمنعك من التحرك من مكانك. تتواجد الكثير من الفرص، والكثير من المعيقات، فى اللحظة ذاتها، ولكن اتجاه تركيزك قد يجعل كل الفرص فى النقطة العمياء من وعيك، ويجعل المعيقات تبدو كأنها وحدها فى الصورة، أو العكس..

لذلك ندعوك أن تسأل: ما هو سؤالى المتكرر؟ هل هو سؤال إيجابى أم سلبي؟ هل يُرينى الفرص أم العراقيل؟ (علمًا بأن كلاهما موجود فى اللحظة الحاضرة)

ما الأسئلة التى أتساءلها عن الآخرين؟ هل هى من نوعية (لماذا لا يوجد أصدقاء حقيقيون؟) أم (كيف أبنى صداقات قوية؟)

ما أسئلتك عن الحياة؟ هل هى من نوعية (لماذا الحياة غير عادلة؟) أم (كيف يمكننى تحقيق كل ما أريد؟)

لنكون أكثر وعيًا بما نبحث عنه، وما نركز عليه، وما نسأل عنه. يقول الله تعالى: «وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها».

تقرير: فدوى مجدي

كيف تعتنى بصحتك النفسية فى ظل الأحداث العالمية الصعبة

حروب، صراعات، أزمات اقتصادية، حوادث، كوارث طبيعية. إن كنتَ تتابع الأخبار، فأنت على الأغلب تشعر بعدم الأمان وأن العالم ينحدر إلى الهاوية. قد تشعر بالتوتر المستمر أو تتابك نوبات القلق أو التفكير المفرط، وقد تجد صعوبة في الوصول لشعور الاطمئنان.

في هذا المقال تتناول كيفية الوصول لحالة شعورية أفضل بخطوات فعالة، مع بعض النصائح التي وردت في موقع منظمة الصحة النفسية البريطانية للحفاظ على استقرارك الشعوري بينما تتابع الأحداث العالمية.

أولا: صغر الصورة وانظر مرة أخرى

نعم، هناك صراعات وأزمات. ولكن هل هذه الصورة مكتملة؟ هل تمثل تلك الصورة الواقع كما هو؟ أم أنها تبرز جوانب من الواقع وتتجاهل أخرى؟

إن القنوات والصحف وأحاديث الناس تتناول ما هو (غريب). على سبيل المثال: من المرجح أن ترى خبرًا عن حادث على الطريق السريع. ولكن من غير المرجح بتاتًا أن ترى خبرًا يقول أن عشرات الآلاف من المواطنين قد استخدموا الطريق بأمان وسلامة تامة لأشهر عديدة قبل ذلك الحادث، أو خبرًا على غرار (لقد ذهب ستة ملايين مواطن في القاهرة الكبرى إلى مقر عملهم وعادوا بسلام اليوم)، فكل ذلك الأمان وتلك السلامة والعافية (عادية للغاية ولا تستحق الذِكر) بالمقارنة بخبر غير سار.

عندما ترى خبر الحادث ستشعر على الأرجح ببعض القلق، أو تأتيك فكرة تقول (العالم غير آمن)، ولكن لن يتبادر إلى ذهنك حقيقة أن تلك الحادثة يُقابلها مئات الآلاف من المرات التي أحاطت فيها السلامة بكل شيء. بالتالي عندما ينتابك شعور بالقلق: صغر الصورة.

خبر عن أزمة اقتصادية .. صغر الصورة .. هناك أيضًا المليارات من البشر ينعمون بالطعام والشراب والرزق الطيب.

حادث بين زوجين.. صغر الصورة. هناك ملايين البيوت السعيدة، الدافئة المليئة بالحب والرعاية.. لكنها لا تصدر ضجيجًا

شخص ما فاسد .. صغر الصورة، قد يكون مخطئًا ولكن ليس بتلك الدرجة.. وهناك الملايين من ذوي الشفافية والصدق.

ثانيًا: تذكر قانون الموجة

.ينص أشهر قوانين الفيزياء، قانون نيوتن الثالث، على أنه: (لكل فعل رد فعل، مساو له في المقدار، ومعاكس له في الاتجاه) هذا القانون ليس فيزيائيًا فقط، فهو قانون يعكس توزان الحياة بأكملها. يقول نابليون هيل في كتابه (فكر تصبح غنيًا): "كل محنة، وكل فشل، وكل أسي يحمل معه بذرة نفع مماثلة له أو أكبر منه". ويقول الله تعالى في كتابه الكريم: «فإن مع العسر يسرًا، إن مع العسر يسرًا». يصف الكاتب والمفكر صلاح الراشد ذلك القانون بـ(قانون الموجة)، حيث يشبه الأمر بالموجات المغناطيسية أو موجات رسم القلب، فكلما زاد عمق الموجة زاد في المقابل ارتفاعها. كلما زادت المحنة زادت المنحة. ولكن مرة أخرى، هذا ليس ما تركز عليه الصحف والقنوات وأحاديث الناس.

عندما تتذكر أنه كلما زادت الصراعات (موجة منخفضة) زاد السلام (موجة مرتفعة)، وكلما زاد الزيف (موجة منخفضة) زاد وهج الحقيقة (موجة مرتفعة)، وكلما زادت الأزمات الاقتصادية، زادت سهولة تكوين الثروة وتعددت مصادر الدخل. عندما تتذكر ذلك، وجه انتباهك وتركيزك لتكون قادرًا على رؤية اليُسر وسط العُسر، وبذرة النفع الوفير وسط ما يبدو أنه فوضى، والفرصة وسط ما يبدو كانعدام الفرص. فليَكن تركيزك على النعم والعافية الموجودة بالفعل والسلامة والأمان، ولتشكر عليها وتكتشِف أدوات زيادتها.

ثالثًا: ابق مدركًا لما يحدث حولك، ولكن كن واعيًا لحدودك

اسأل نفسك: "ما مقدار المعلومات والأخبار العالمية المزعجة التي أتابعها حاليًا؟ وكيف يؤثر ذلك عليّ؟"

إذا كان لها تأثير سلبي على مشاعرك، فجرب الآتي:

خذ استراحة من الأخبار- اكتم أو أوقف إشعارات الأخبار على هاتفك الذكي- اكتم أو الغ متابعة حسابات التواصل الاجتماعي التي تنشرها- أو حدد قراءتك للأخبار بمرة واحدة يوميًا- بعد الاستراحة، اسأل نفسك: "كيف أشعر الآن بعد أن ابتعدت عن الأخبار؟"

إذا وجدت أن الاستراحة مفيدة، فحاول الاستمرار في الاطلاع على الأخبار ولكن على أجزاء صغيرة، وخذ استراحة من الأخبار عند الحاجة، وتوقف من حين لآخر للاطمئنان على مشاعرك، وتفاعل مع منصات التواصل الاجتماعي المختلفة بناءً على ما تُشعرك به

إضافةً إلى ذلك، حاول أن تتخير بحكمة كيفية استهلاكك للأخبار، وتجنب، قدر الإمكان، جلسات "التصفح" الطويلة. وحاول أن تتقبل حقيقة أنه على الرغم من أننا قد نرغب في المساعدة أو تغيير الوضع العالمي والوطني الحالي، إلا أن بعض هذه الأمور قد تكون خارجة عن سيطرتنا. وفي تلك اللحظات تذكر أنك لستَ مسؤولاً عن تغيير العالم، أنت فقط مسؤول عن إدارة حياتك بأفضل طريقة ممكنة، فلتركز على ذلك الأمر.

رابعًا: تفاعل مع مجتمعك بطريقة هادفة

إذا كان عدم اليقين الناتج عن الأخبار يُثير فيك مشاعر القلق أو الخوف أو العجز أو العزلة، فتذكر أن هناك دائمًا أشخاصًا آخرين يشعرون بنفس الشعور الآن. هناك أشياء يمكننا القيام بها للتعامل مع هذه المشاعر أو تخفيفها.

يمكنك التواصل مع الآخرين المتأثرين في مجتمعك. قد يكون ذلك في منطقتك أو في مجتمعات الإنترنت. يمكن أن يساعدك هذا على الشعور بمزيد من التمكين وتقليل الشعور بالوحدة.

هناك طرق عديدة للتواصل مع مجتمعك مثل: المشاركة في فرص التطوع، والانضمام إلى الحملات الشعبية المحلية، أو المجموعات المجتمعية التي تعمل على قضايا تهمك، أو الانضمام إلى مجموعة على (فيسبوك) أو (ميت اب) مع أشخاص في منطقتك.

البشر مُصممون عصبيًا للتواصل مع الآخرين. مساعدة الآخرين والتفاعل مع مجتمعنا المحلي بطريقة هادفة مفيد لصحتنا النفسية.

خامسًا: لا تكبت مشاعرك

إذا شعرت بالاضطراب، احاول أن تتلقَ الدعم، تحدث مع أصدقائك أو أفراد عائلتك. هناك الكثير من الأشخاص والمؤسسات التي تريد مساعدتك. مثل وحدة الدعم النفسي التابعة للأزهر الشريف ١٩٩٠٦، أو التواصل مع الخط الساخن الخاص بالأمانة العامة للصحة النفسية (التابعة لمبادرة الدولة: ١٠٠ مليون صحة نفسية) ١٦٣٢٨، كما أن هناك عددًا من المستشفيات والمعالجين الذين يعرضون خدماتهم بأسعار زهيدة أو مجانًا.

سادسًا: اعتنِ بصحتك النفسية

حاول تخصيص وقت كاف للأشياء والأنشطة والتصرفات المفيدة لصحتك النفسية. يختلف ما يناسب كل شخص، لذا ركّز على ما يناسبك. من أكثر الخطوات فعالية: اتباع روتين نوم صحي، وإضافة بعض الحركة إلى يومك كممارسة الرياضة أو المشي، والتعرض للشمس في الصباح الباكر، وتناول الطعام الصحي، حيث يلعب الطعام دورًا كبيرًا في استقرارك الشعوري، وقضاء الوقت مع الأصدقاء أو العائلة، والتواصل مع الطبيعة لتقليل التوتر وتحسين مزاجك. ابدأ بالخطوات البسيطة التي يمكنك اتخاذها في اللحظة الراهنة لترَ الفرق.

تذكر أن صحتك النفسية أولوية، وأنها تدعم بقية جوانب حياتك من صحة جسدية ونجاح في العمل وعلاقات رائعة مع العائلة وحياة مالية. إن كنت تشعر بالاضطراب مع متابعة الأخبار، يمكنك بخطوات بسيطة التحسين من الأمر والوصول للتوازن. مثل: رؤية الصورة الأكبر للأمور، تذكر قانون الموجة، ومعرفة حدودك في متابعة الأخبار واحترامها، والتفاعل مع مجتمعك، والتنفيس عن مشاعرك، واتباع أسلوب حياة أكثر صحة.

مترجم بتصرف، المصدر:
https://www.mentalhealth.org.uk/explore-mental-health/articles/tips-look-after-your-mental-health-during-traumatic-world-events

ترجمة: فدوى مجدي

قالت العرب

"تُنسى كأنك لم تكن / تنسى كمصرع طائر / ككنيسة مهجورة تنسى / كحب عابر / وكوردة في الريح / وكوردة في الثلج / تنسى

المشهد
العدد 339 – السنة الرابعة عشرة -الأحد 25 مايو 2025 م الموافق 27 ذو القعدة 1446 هـ

النائب «إيهاب منصور» فى حوار كاشف مع «المشهد»

المال السياسى الأسود يهدد نزاهة انتخابات 2025

من يدفع للناخب جنيهًا واحدًا يريد أن يجنى من ورائه ملايين الجنيهات

استجواباتى ضد الشركة الشرقية للدخان جاءت دفاعًا عن حقوق 7800 عامل

مكتبى تلقى نحو نصف مليون طلب وأرفض تزييف وعي الناخبين

أطالب بوجود قائمة نسبية لضمان احترام أصوات المصريين

مع اقتراب انتخابات برلمان ٢٠٢٥، يظهر النائب إيهاب منصور كأحد أبرز الأصوات البرلمانية التى تجمع بين العمل الرقابى والتشريعي، والدفاع عن قضايا المواطنين والعمال. فى هذا الحوار الخاص مع «المشهد»، يتحدث منصور عن برنامجه الانتخابى وأبرز التحديات التى تواجه العملية الانتخابية، وعلى رأسها المال السياسى الأسود، ويكشف تفاصيل استجوابه ضد الشركة الشرقية للدخان، مؤكدًا أن معركته هى من أجل العدالة الاجتماعية، وكرامة العامل، وشفافية القرار.

● مع اقتراب انتخابات البرلمان.. حدثنا عن برنامجك الانتخابي؟

برنامجى الانتخابى يقوم على العدالة الاجتماعية، والاهتمام الحقيقى بالتعليم، والصحة، ودعم الزراعة والصناعة. لقد قمت بدورى على قدر الإمكان، سواء فى الدور التشريعى أو الرقابي، حيث قدمت عددًا من القوانين ومشروعاتها، وطلبات إحاطة، وأسئلة وبيانات عاجلة. لدينا مكتب خدمى للمواطنين يتلقى نحو نصف مليون طلب؛ يشمل: شكاوى، واتصالات، وزيارات، وهذا يؤكد تواجدنا مع المواطنين فى الشارع والمجلس.

●ما أبرز التحديات التى تواجهها فى الانتخابات القادمة؟

أبرز التحديات فى الانتخابات القادمة هى المال الأسود السياسي، وشراء الأصوات، وتزييف الحقائق. هذه الأمور تؤدى إلى نسب مشاركة ضعيفة، وهو أمر خطير للغاية. نتمنى أن يشارك ٩٠٪ من الشعب، وأن يكون لصوتهم أهمية وقيمة.

● كيف ترى تأثير القوانين الانتخابية الجديدة على نتائج الانتخابات؟

القوانين الجديدة سيكون لها دور فاعل فى الانتخابات، خاصة فيما يتعلق بتقسيم الدوائر. وأطالب بوجود قائمة نسبية، لضمان احترام أصوات الناخبين؛ لأن الوضع الحالى يقول إن أصوات الناس تذهب للأغلبية، والقائمة النسبية هى الأفضل لتمثيل الفئات كافة.

● ما الرسالة التى تود إيصالها للناخبين فى دائرتك الانتخابية؟

أقول للناخبين المصريين: "إن الانتخابات حقهم، وأن عزوفهم عنها لن يحسن وضعهم؛ بينما المشاركة الفاعلة ستنعكس عليهم بالشكل الذى يتمنونه. وأحذر المواطنين من سرقة أصواتهم عبر الأموال؛ لأن من يدفع لك جنيهًا واحدًا يريد أن يجنى من ورائه ملايين الجنيهات، وهذا خطر على حقوقهم، وبلدنا، ومستقبلنا".

● ما الأسباب الرئيسية التى دفعتك إلى تقديم استجوابات ضد الشركة الشرقية للدخان؟

الشركة الشرقية للدخان فيها اتحاد العاملين المساهمين، يبلغ عددهم ٧٨٠٠ عامل. فى السنة الماضية، تم طرح بيع أسهم الاتحاد، ولكن العاملين رفضوا العرض؛ بسبب سعره المتدنى والمشبوه. قامت الإدارة بمفاجأة العاملين فى الجمعية العامة بأن هناك عرضًا بسعر وحيد، دون علم العاملين بالتقييم أو ما حدث. وهذا إخلال بمبدأ الشفافية، وتم رفض العرض. بعد ذلك، قامت الإدارة بتحويل ٢٥ عاملا للتحقيق، وتهديدهم؛ حتى يوافقوا على العرض. لذا قمت بتقديم طلب إحاطة، وطلبت استدعاء رئيس الشركة والاتحاد؛ لأن هذا فصل تعسفي. بعد الإعلان عن طلب الإحاطة، قام رئيس الشركة والاتحاد، بالتفاوض مع ٢٥ عاملا، وطلبوا منهم سحب شكاواهم، وتم انعقاد الجمعية فى شهر أبريل، وكرر العمال رفضهم للعرض المشبوه. الإدارة بدأت فى اتخاذ إجراءات تعسفية، وفصل بعض العاملين؛ وهذا ما دفعنى إلى الوقوف بجانب العمال، ومساندتهم، وتقديم استجواب للحكومة لصالح العاملين، فى مجلس النواب، لإعادتهم للعمل، والحفاظ على حقوقهم.

حوار: إبراهيم خالد

لا تنزعج قبل أن تقرأ

الجيش .. وعبقرية الإستثمار المدني!

بقلم: إبراهيم ربيع

لو طلبوا رأيى فى استثمارات الجيش فى المشاريع الاقتصادية المدنية، لقلت ماتمنيت قوله من زمن بعيد وخشيت أن يرمونى بالجهل والسطحية والمزايدة مع المطبلاتية ..

والآن حانت فرصة القول.. ومن الواجب أن أبدأ معهم أولا بما يحبون أن يسمعوه.. أنا معكم فى أن للجيش وظيفة واحدة سامية وفوق كل الوظائف الأخري، عند الحدود للدفاع عن تراب الوطن .. وسوف أزيد بما يزيد من ارتياحكم وأكرر على مسامعكم الأوصاف الرائعة والجميلة التى يستريح لها الجميع عن القيمة والشأن العظيم للجيش.. هؤلاء ينقلون لنا النماذج العسكرية المثالية فى العالم، دون نظرة خاطفة منهم ولو على استحياء لظروف كل دولة،مع الأخذ فى الاعتبار أن المثالية الكاملة لاوجود لها إلا فى الكتب التى تبروز النظريات والأفكار الحالمة ..

أنا شخصيا أتمنى تسكين كل شئ فى بلدى فى مكانه المناسب والصحيح، فى السياسة والاقتصاد والثقافة والرياضة والأمن، وبالتالى أوافقهم علي'تسكين الجيش عند الحدود، بحكم وظيفته وطبيعته وأدواته وآلياته.. لكن اسمحوا لى أن أشذ عن القاعدة وأعارض هؤلاء الذين يزعقون ويصرخون ويتهكمون ويستظرفون أحيانا، عند التعبير عن آرائهم فى نشاط الجيش الاقتصادي..

ولأن المثقفين فى طليعة المتجادلين فى هذا الأمر، فإن كثيرا من الدهشة يظل مسيطرا على تفكيرى تجاه من نفترض أنهم أعلم من العامة، وكلما قرأت أو سمعت نقاشا أو جدلا بينهم حول هذا الموضوع.. أرى الكلام المتبادل يتناول كل شئ، إلا كلمات قليلة انتظرت قولها ولم تأت..

هذه الكلمات القليلة ببساطة، أننا لو نريد أن نحمى بلدنا وأمننا القومي، فإن الطريقة ببساطة أن نملك جيشا قويا، وبديهى لكى نجعله قويا أن نشترى له سلاحا متطورا يوازى أو يقترب من سلاح الأعداء الواضحين والمحتملين، ليحقق قدرا من التوازن، وبالتالى يمنع التفكير السريع والمتسرع فى الاعتداء والحرب.. ولأن الأسلحة الحديثة خاصة الجيل الخامس منها باهظة الثمن، وبما أن الدولة فقيرة وتمر بأصعب أزمة اقتصادية، فإن توفير أو رصد الميزانية المناسبة للتسليح والتدريب والمناورات والصيانة وغيرها من التدابير العسكرية، على أربع جبهات عند ليبيا والسودان وغزة وفضاء البحرين الأبيض والأحمر، لايمكن تدبيرها من ميزانية الدولة التى تحددها الحكومة ويعتمدها البرلمان..

لو اعتمدنا على هذا النمط، لما تبقى شيء للتعليم والصحة والأكل والشرب وكل تكاليف المعيشة، ولما أصبح لدينا جيش ولا سلاح من أى جيل، ولما تجرأنا وقلنا لا لأمريكا أربع مرات، وما كانت سيناء الآن صامدة أمام مؤامرة صنعت أصلا من أجلها.. إذن بحكم الواقع والظروف والتحديات التى ربما ترتقى الآن لتكون وجودية، فأنا اعتبر لجوء الجيش إلى الإستثمار بنفسه وانفراده بميزانية خاصة، حلا عبقريا ورؤية ملهمة للدول الفقيرة وآلية مبدعة تؤكد جميعها بالفعل أن الحاجة أم الإختراع .

ولا تقل لى أن كل الدول نهجها معروف فى ميزانيات الدفاع ولايشذ احد عن هذا النهج إلا مصر، لو افترضنا ذلك، لأننى سأقول لك باقتناع وبيقين أن من يجاور الكيان الصهيونى يجب أن يفكر خارج الصندوق، ويجب أن تكون له استراتيجية دفاعية مختلفة وشديدة الخصوصية، ولامانع أن تشذ عن كل دول العالم .. ولا أريد هنا أن ازيد وأعيد فى المطامع التوراتية اليهودية، ولا بخرائطهم المخيفة المسربة، ولا بحتمية الصراع الممتد إلى نهاية التاريخ ،حسب المنظور الدينى او حتى السياسى .. نحن أمام حالة خاصة فى منطقة جغرافية خاصة تشغلها دولة خاصة، رآها بعين ثاقبة وصادقة وفاهمة د. جمال حمدان .. رآها عبقرية فى الجغرافيا والتاريخ وفى قلب العالم، بما يجعلها مطمعا ومغنما دائما لا وقتيا إلى يوم القيامة.

لو أن المثقفين، المنشغلين يوميا بالقصة الأزلية عن الحكم العسكرى وضرورة الإحلال بالحكم المدنى والاستظراف فى الربط بين الفقر والإنفاق على الأسلحة، اختلوا بأنفسهم بعضا من الوقت سيفهمون قطعا حتى لو طالت خلوتهم أن ألف باء أسباب سقوط الدول هو ضعف الجيش أو غيابه، ولنا فى العقد الأخير أمثلة صارخة فى كل مايحيط بنا من كيانات.. ولعلهم يحسنون التوقع والتخيل فى خلوتهم فيرون مايراه بعض من أصحاب الفراسة.. سنفترض أننا استسلمنا لأصواتهم وعدنا ألى النموذج التقليدى لعلاقة ميزانيات الجيوش بالميزانيات العامة.. تلقائيا وبلا فزلكة لن يكون لدينا مقومات الردع فى القوات المسلحة، لأن الجيش ببساطة يجدد نفسه سنويا بالمليارات..

والنتيجة أنه فى مفرمة المنطقة حاليا سيكون كل شئ وارد حربا أو استسلاما أو إذلالا أو أنتقاصا من الأرض أوالسيادة .. ثم تأتى المفاجأة بما يجد من جديد من مآسى التحول من شعب كان متذمرا فقط من غلاء السلع والمعيشة بكل مناحيها، إلى شعب لايجد هذه السلع أصلا ولا أبسط احتياجات المعيشة، ولا أمنا ولا ثقة ولا روحا ولا أملا.. ستصبح كل الأشياء عدما معدوما.. لن ترى السلعة الغالية التى تريد تخفيضها، ولا القليل الذى تريد زيادته.. لن تجد شيئا فى الأصل تتحدث فيه او تطلبه.. ستعود تحلم بأيام الفقر والعوز .. فليس لدينا الآن رفاهية البناء على نظريات الحكم والتحكم، ولا أحد سيعطينا فرصة أو مهلة لنقتنع بأن اوضاعنا طبيعية مثل غيرنا، وأن علينا ان نصبر صبر الصين والهند بل حتى باكستان الفقيرة حتى الآن، والتى ما إن فجرت الهند أولى قنابلها النووية حتى خرج قادة باكستان ليعلنوا أنهم وشعبهم سيأكلون حشيش الأرض لتذهب كل الموارد إلى صناعة وتجربة قنبلة مضادة للهند.. ولو كان لدينا قنبلة نووية لأتيحت لنا مرونة وحرية حركة فى اختيار أنسب علاقة توازن بين احتياجات العيش واحتياجات الحماية..

الوقت ضاغط والمؤامرات سريعة التفاعل وعلينا اتخاذ القرار الآن أو فى أقصر وقت..

الأولويات معروفة عند المثقفين، لكنهم عند الخصومة أو عند الظهور الإعلامى يقولون مالا يقتنعون.. ويخرج علينا كبار المليارديرات ليطلبوا ما هو صحيح نظريا، لكنه مدمر عمليا .. كما فعل ويفعل نجيب ساويرس.

وفى النهاية أقول لمن يستخف او يستنكر مشاريع الجيش الإستثمارية المدنية.. فكر كثيرا وبعيدا.. وأنا شخصيا سأكون معك وفى صفك ومناديا بما تنادى به، عندما يخمد البركان ويستقر نظام عالمى جديد تفلت منه مصر.. سنتحدث فى أفكار الرفاهية وسيسرح بنا الخيال ونأتى بالكتب والكتاب والشعراء ليرسموا لنا لوحة الحياة الجميلة.. وقتها سنطلق الواقع بالتلاتة.

الفاتيكان من الجنوب إلى الغرب:

إرث فرنسيس على حافة التغيير وتحديات تواجه ليو الـ 14

فى صباح هادئ من أبريل، لم يكن العالم مستعدًا لتوديع شخصية بمكانة البابا فرنسيس، بابا التواضع والتجديد والجدل. خبر وفاته، الذى أُعلن رسميًا من الفاتيكان فى ٢١ أبريل ٢٠٢٥، مثل صدمة روحية وسياسية معًا، ليس فقط للملايين من الكاثوليك، بل لكل المهتمين بمكانة الفاتيكان فى عالم متغير. وبعد ثلاثة أسابيع فقط، انتُخب ليو الرابع عشر بابا جديدًا، وهو أول أمريكى يجلس على عرش بطرس، مما أضاف بعدًا رمزيًا وثقافيًا ضخمًا لهذا التحول.

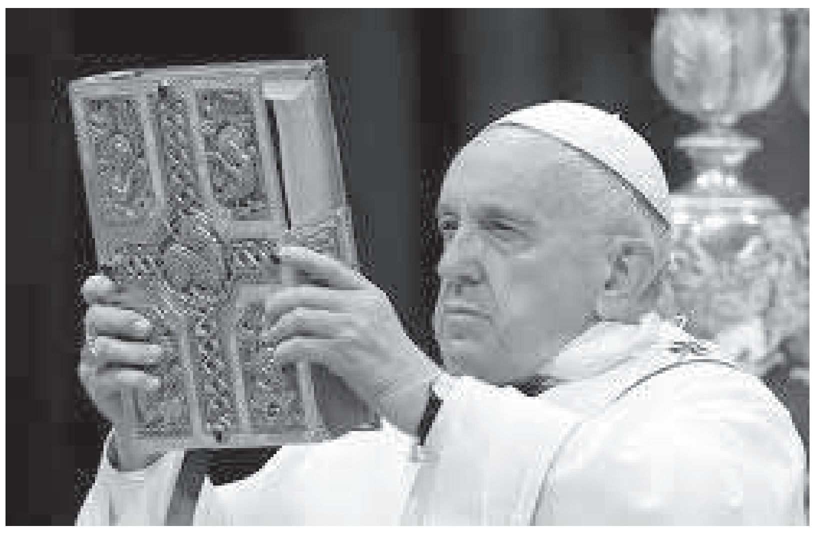

لكن، هل نحن بصدد مجرد انتقال تقليدى فى القيادة؟ أم أن الكنيسة الكاثوليكية تدخل فصلًا جديدًا من تاريخها، تتغير فيه اللهجة، وربما الاتجاه؟

– نهاية عصر فرنسيس... البابا الذى جاء من العالم الجديد

عندما انتُخب خورخى ماريو برغوليو عام ٢٠١٣، كان أول من كسر احتكار البابوية الأوروبية منذ أكثر من ١٢ قرنًا. الرجل الأرجنتيني، الذى اختار اسم "فرنسيس" تيمّنًا بالقديس فرانسيس الأسيزي، ظهر منذ لحظته الأولى وكأنه يتحدث بلغة جديدة: لغة الناس.

– الإصلاح فى قلب روما

كان فرنسيس إصلاحيًا من نوع مختلف. بدلًا من المواجهة الصريحة، اختار التحوّل البطيء والرمزية القوية. عاش فى دار القديسة مارتا، رفض سيارة البابا المصفحة، وبدأ بإعادة هيكلة الكوريا الرومانية. فى خطاباته، مزج بين لاهوت الرحمة والنقد الاجتماعي، مهاجمًا الرأسمالية المتوحشة، ومنحازًا للفقراء والمهاجرين واللاجئين.

لكنه فى المقابل، لم يتجنب المعارك. فقد واجه مقاومة شرسة من الجناح المحافظ داخل الكنيسة، خاصة بعد تصريحاته المنفتحة حول المثليين: "من أنا لأدينهم؟". هذه العبارة أصبحت شعارًا عالميًا، لكنها أيضًا أثارت امتعاض كثير من الكرادلة التقليديين.

– اللحظة الأخيرة: الرحيل بهدوء

فى عامه الأخير، بدا واضحًا أن صحة البابا تتدهور، لكنه أصر على مواصلة عمله. توفى بهدوء، بعد إصابته بسكتة دماغية، ودُفن وفقًا لوصيته فى بازيليك القديسة مريم الكبرى، بعيدًا عن مقابر البابوات. وصيته الأخيرة كانت بسيطة: "صلوا من أجلي. واهتموا بالفقراء".

– الكرسى الشاغر... والبابا المنتظر

مع بداية انعقاد المجمع المغلق لاختيار البابا الجديد، اشتدت التكهّنات. هل سيستمر الخط الإصلاحى لفرنسيس؟ أم يعود المجمع إلى الخيار المحافظ الذى يعيد التوازن؟

– خلف الكواليس: معركة بين تيارين

بحسب مصادر إعلامية وتسريبات من داخل الكابنسا، انقسم الكرادلة إلى تيارين: تيار إصلاحى يريد استمرار "ثورة الرحمة"، وتيار محافظ يرى أن الكنيسة بحاجة إلى إعادة انضباط عقائدي. مصدر كنسى إيطالى قال: "الانقسام لم يكن فقط لاهوتيًا، بل جغرافيًا أيضًا. أوروبا كانت تتوجّه نحو خيار أكثر تحفظًا، بينما كانت أميركا اللاتينية، وآسيا، تبحث عن قيادة أكثر تحررًا وإصلاحًا."

– من شيكاغو إلى روما... من هو البابا ليو الرابع عشر؟

ولد البابا الجديد فى شيكاغو عام ١٩٥٥، من أصول كاثوليكية إيرلندية/بيروفية. انضم إلى رهبنة القديس أغسطينوس، وعمل مبشرًا فى بيرو لأكثر من ٢٠ سنة، حيث خدم المجتمعات المهمّشة، وواجه العنف الاجتماعى والاضطهاد الديني.

– طريقه نحو الفاتيكان

فى عام ٢٠٢٠، استدعاه الفاتيكان ليكون رئيسًا لدائرة الأساقفة، وبرز اسمه خلال مؤتمر أساقفة الأمازون الذى عُقد عام ٢٠٢٢، حيث دافع عن بيئة الأمازون وحقوق السكان الأصليين. عُين كاردينالًا عام ٢٠٢٣، وكان من أبرز المدافعين عن استمرارية إرث فرنسيس.

– لماذا "ليو"؟

اسم "ليو الرابع عشر" لم يكن اختيارًا عابرًا. البابا ليو الثالث عشر فى القرن التاسع عشر كان مفكرًا ومصلحًا، أصدر أول وثيقة بابوية عن العدالة الاجتماعية (Rerum Novarum). هذا الاختيار يلمّح إلى أن البابا الجديد يسعى لتوازن بين العقيدة والتجديد.

– فى مهب الريح... الكنيسة تواجه التحديات

البابا الجديد لا يستلم فقط عصا القيادة، بل جبلًا من الملفات المفتوحة:

أولا: قضايا الاعتداءات الجنسية

ما زالت الكنيسة الكاثوليكية تواجه فضائح مؤلمة فى أميركا، وألمانيا، وفرنسا. ويُنتظر من البابا الجديد أن يعيد بناء الثقة، ويُعزز الشفافية، ويُشرف على محاكمات داخلية أكثر صرامة.

ثانيًا: وحدة الكنيسة

الانقسام المتصاعد بين الكاثوليك التقليديين والليبراليين، خاصة فى الولايات المتحدة وأوروبا، يهدد وحدة الكنيسة. هل سيتمكن ليو من أن يكون "جسرًا" بين الجانبين؟

ثالثا: قضايا المرأة والهوية الجنسية

الضغوط تتزايد من قطاعات داخل الكنيسة لدعم دور المرأة، والسماح برسامة الشمامسة الإناث، أو حتى مناقشة زواج الكهنة. فهل يُبقى ليو الباب مغلقًا كما فعل سلفه فى بعض القضايا؟ أم يفاجئ العالم بخطوات جديدة؟

– صوت المؤمنين... ردود الأفعال من العالم فى أمريكا اللاتينية:

ماريا سولير، أستاذة لاهوت فى جامعة بوغوتا، تقول: "هناك حزن عميق لرحيل فرنسيس. لقد شعرنا أنه منا، وأنه يضع صوت الجنوب فى قلب الكنيسة".

فى الولايات المتحدة:

الصحف الأميركية رحبت بانتخاب ليو، وركزت على رمزية وصول أمريكى للبابوية، لكنها تساءلت عن قدرته على إرضاء الطيف الكاثوليكى الواسع بين المحافظين والتقدميين.

فى الشرق الأوسط:

أبدت الكنائس الشرقية الكاثوليكية ترحيبًا بالبابا الجديد، خاصة مع تصريحاته الإيجابية عن الحوار بين الأديان. مصدر كنسى فى لبنان قال: "نأمل أن يزور البابا المنطقة قريبًا، وأن يستمر فى دعم مسيحيى الشرق".

– بين "فرنسيس" و"ليو"... هل يستمر الإصلاح أم يعاد تشكيله؟

المفارقة أن البابا الجديد يقف فى نفس النقطة التى وقف فيها سلفه قبل ١٢ عامًا: العالم ينتظر، والمؤمنون يتساءلون. لكن السياق تغيّر. البابا فرنسيس فتَح أبوابًا كثيرة، بعضها لم يُغلق بعد. والبابا ليو عليه الآن أن يقرر: هل يدخل من تلك الأبواب؟ أم يعيد رسم حدودها؟

في كل الأحوال، الكنيسة الكاثوليكية تدخل فصلًا جديدًا. وإذا كان فرنسيس قد مثّل بداية زمن الرحمة، فربما يكون ليو الرابع عشر هو من يكتب فصول الحكمة بعد العاصفة.

– أمل وتخوّف... ملامح المرحلة المقبلة

فيما يُفتح عهد ليو الرابع عشر، تنقسم التوقعات بين التفاؤل الحذر والقلق الصريح. هناك من يرى فيه امتدادًا طبيعيًا لفرنسيس، خاصة فى قضايا العدالة الاجتماعية، والبيئة، وكرامة الإنسان. لكن آخرين، خاصة من داخل التيار المحافظ، يأملون فى أن يعيد ضبط البوصلة العقائدية، ويضع حدًا لما يصفونه بـ"الغموض اللاهوتي".

الاختبار الحقيقى لن يكون فقط فى الوثائق البابوية، بل فى التعيينات داخل الكوريا، وفى مواقفه خلال الأزمات، وفى طريقة حديثه للمؤمنين والعالم. هل سيبنى على ما بدأه فرنسيس؟ أم سيعيد تشكيل صورة البابوية؟ ما هو مؤكد أن الأنظار كلها تتجه الآن إلى الفاتيكان، حيث تُكتب فصول جديدة من تاريخ الكنيسة الكاثوليكية.

مادونا شوقى

المشهد
العدد 339 - السنة الرابعة عشرة - الأحد 25 مايو 2025 م الموافق 27 ذو القعدة 1446 هـ

قالت العرب

"هذا البحر لي / هذا الهواء الرطب لي
واسمي وإن أخطأت لفظ اسمي على التابوت - لي ..
أما أنا - وقد امتلأت بكل أسباب الرحيل / فلست لي .
أنا لست لي"

أزمة «الإيجار القديم» تهدد بفوضى عقارية

أثارت تعديلات قانون الإيجار القديم في الفترة الحالية، جدلًا واسعًا بين المُلاك والمستأجرين، في ظل تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الراهنة، وتحذيرات من حدوث أزمة إنسانية واجتماعية، إن لم يُراعَ البعد الاجتماعي في تطبيق القرارات الجديدة. وفي ظل هذه الأجواء المتوترة قامت «المشهد» باستطلاع آراء المستأجرين، والمُلاك، وخبراء الاقتصاد والقانون والمحليات، ومجلس النواب؛ لمعرفة أبعاد تنفيذ هذا القانون وتداعياته، وماذا وراء تطبيقه، وكيفية وضع حلول مناسبة للخروج من هذه الأزمة.

"رضا فرحات: إحالة مشروع القانون إلى اللجان المختصة خطوة إيجابية طال انتظارها

"إيهاب منصور: قانون الإيجارات القديمة يعوق حركة السوق، ويجعل آلاف الوحدات السكنية خارج الدورة الاقتصادية الفعالة

"محمد فؤاد: إقرار المشروع سيضخ ما بين 50 إلى 70 مليار جنيه في الاقتصاد العقاري، خلال السنوات الخمس الأولى من التطبيق

"رشاد عبده: القانون الجديد بصيغته الحالية يعكس انحيازًا واضحًا لمصلحة المُلاك على حساب الفقراء

"شريف الجعار: بنود المشروع تتصادم مع أحكام المحكمة الدستورية وتهدد الأمن الاجتماعي

"خالد الشافعي: أقترح إنشاء صندوق خاص لدعم المتضررين من القانون؛ للحفاظ على نسيج المجتمع

القانون القديم

صدر قانون الإيجار القديم في القرن العشرين، في سياق ظروف اقتصادية صعبة، هَدفَ إلى حماية المستأجرين من الاستغلال العقاري، عبر تثبيت القيمة الإيجارية، وعدم السماح بإخلاء المستأجر إلا في حالات نادرة. استمر العمل بالقانون لعقود طويلة دون تعديل جذري؛ ما تسبب في خلل واضح في سوق الإيجارات، وأثر على حقوق المُلاك. إلى أن شهد القانون مؤخرًا تعديلات تهدف إلى تحقيق التوازن بين الطرفين، وتحديث المنظومة العقارية، بما يتماشى مع المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية.

فبعد أن كانت عقود الإيجار القديمة تمنح المستأجر الحق في البقاء في الوحدة السكنية المؤجرة مدى الحياة، حظر القانون الجديد هذا الأمر؛ لأسباب من بينها: عدم تناسب القيمة الإيجارية مع الأسعار الحالية، وتدهور حالة العديد من العقارات بسبب ضعف العائد المادي للمالك، وزيادة النزاعات القانونية بين المُلاك والمستأجرين، بالإضافة إلى رغبة الدولة في تنشيط السوق العقارية وزيادة الاستثمار في قطاع الإسكان.

تخوفات المستأجرين

سيطر القلق والخوف على كثير من المستأجرين؛ بسبب مشروع القانون الجديد، الذي يقضي برفع القيمة الإيجارية بشكل لا يتناسب مع دخولهم، مما يهدد استقرارهم السكنى، ففقدان الأمان الذي وفره القانون القديم لعقود طويلة، خاصة وأنهم قد ساهموا في صيانته، أو دفعوا (خلو رجل) عند التعاقد.

كان وقع القانون الجديد صادمًا على غالبية المستأجرين من كبار السن وأصحاب المعاشات، في ظل تردي الأوضاع الاقتصادية، خاصة وضعهم المادي، المعاش لا يفي باحتياجاتهم المعيشية في ظل غلاء الأسعار الجنوني، الذين اعتبروا القانون يثير الفتنة وسيؤدي إلى تشريد الأسر، مما حدا بهم للتلويح بتنظيم وقفات احتجاجية أمام مؤسسات الدولة المختلفة، حال إقرار القانون، فيما طالب البعض بتوفير بدائل سكنية أو تعويضات عادلة، في حال صدور قرار بإخلاء العقار.

اعتراضات المُلاك

في الجانب المقابل يرى أغلب المُلاك أن القانون القديم انتهك حق الملكية، حيث تؤجر الشقق والمحلات منذ عشرات السنين مقابل إيجارات زهيدة، لا تتناسب مع القيمة السوقية أو التضخم. ويصف بعضهم العقارات المؤجرة بـ «المغتصبة شرعًا وقانونًا»؛ بسبب ضعف العائد.

وأكد المُلاك أن لهم الحق في استرداد وحداتهم، أو رفع القيمة الإيجارية بشكل حر، خاصة وأن قانون الإيجار القديم صدر ١٩٢٠م بتعديلاته التي منحت المستأجر الحق في البقاء بالوحدة السكنية مدى الحياة، وتوريثها للجيل الأول، مع الالتزام بسداد نفس القيمة الإيجارية، وعدم جواز خروجه منها إلا بحكم محكمة يسلبهم حقوقهم المتوارثة.

ولفت المُلاك إلى أن القانون القديم يعطي كل الامتيازات للمستأجرين، في ظل أنهم لا يستطيعون صيانة عقاراتهم بسبب قلة العائد المادي؛ مما يؤدى إلى تدهور البنية التحتية، وتهالك المباني، مشيرين إلى أن توريث الإيجار سبب رئيسي في تفاقم المشكلة.

مقترحات التعديلات

ومن أبرز التعديلات المقترحة في القانون: تحرير العلاقة الإيجارية تدريجيًا على مدى ٥ إلى ١٠ سنوات؛ للوصول إلى القيمة السوقية العادلة، وإلغاء التوريث المباشر للعقود؛ حيث يقتصر عقد الإيجار على الجيل الأول فقط (الأبناء)، دون تمديده للأحفاد أو الأقارب، وتحسين شروط الإخلاء؛ حيث يسمح بإخلاء الوحدة في حال تركها المستأجر لفترة طويلة، أو استخدمها لأغراض غير المتفق عليها، وإنشاء صندوق دعم للمستأجرين محدودي الدخل كإجراء اجتماعي مواكب؛ لدعم المستأجرين غير القادرين على دفع القيمة الإيجارية.

مناقشات برلمانية

عقدت لجنة الإسكان بالبرلمان اجتماعات متتالية بحضور المُلاك والمستأجرين، والجهات المختصة، والأجهزة المعنية في الدولة من الإسكان، والتنمية المحلية، والمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، والجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، وأساتذة القانون وحقوق الإنسان. وأكدت الحكومة أن القانون الجديد يسعى إلى إعادة تنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر، بما يضمن تحقيق التوازن العادل بين الطرفين. وأعلن الدكتور محمد عطية الفيومي رئيس لجنة الإسكان بمجلس النواب، في تصريحات صحفية، أن المقترح الخاص بمنح مهلة مدتها خمس سنوات في إطار تعديلات قانون الإيجار القديم، لا يزال في مرحلة الدراسة، خلال الأيام القادمة.

وأضاف أن لجان الاستماع تناقش الأبعاد القانونية والاجتماعية المتعلقة بتعديلات القانون، كما أن الجلسات ستتضمن الاستماع لآراء عدد من اللجان الفنية المتخصصة.

تنشيط الاستثمار المحلي

ومن جانبه، يرى اللواء الدكتور رضا فرحات نائب رئيس حزب المؤتمر وخبير الإدارة المحلية، محافظ الإسكندرية والقليوبية الأسبق، أن قانون الإيجار القديم يعد مشكلة مضى عليها عقود طويلة، ولم يتصدّ لها أحد، مشيرًا إلى أن اهتمام الدولة بمواجهتها الآن أمر إيجابي.

وأضاف فرحات أنه من لا يخفى على أحد أن هناك مشكلة لا بد من حلها، ظهرت في حكم المحكمة الدستورية الأخير، موضحًا أن حكم المحكمة الدستورية في حيثياته فتح مجالًا للمشرع في مجلس النواب أو الحكومة، الحق في تقديم قانون للبرلمان لحل هذه المشكلة.

وأردف فرحات أن التعديل نقلة تشريعية واقتصادية، وفلسفته قائمة على التدرج، وهو ما يعد معالجة إنسانية تراعي وضع المستأجرين، مضيفًا أن إحالة مشروع القانون إلى اللجان المختصة خطوة إيجابية طال انتظارها، وتمثل بداية حقيقية لمعالجة واحدة من أهم القضايا التشريعية المعقدة.

وأكد أن القانون يساهم في تحريك السوق العقارية، ويشجع المُلاك على صيانة وتطوير عقاراتهم التي أهملوها لسنوات بسبب تدني عائد الإيجار، مشيرًا إلى أن القانون هو أحد المفاتيح الرئيسية لإعادة هيكلة السوق العقارية، وتعزيز موارد الدولة، وتنشيط الاستثمار المحلي.

وشدد فرحات على أهمية الحوار المجتمعي بشأن القانون؛ لأن الدولة التي تسعى إلى تنمية حقيقية لا بد أن تمتلك تشريعات عادلة، تحرر الاقتصاد من الجمود، وتفتح أبواب الاستغلال الأمثل للموارد. مؤكدًا أن مشروع القانون يجب أن يكون جزءًا من منظومة متكاملة، تشمل توفير بدائل سكنية للأسر المتضررة، من خلال التوسع في مشروعات الإسكان الاجتماعي، بما يضمن العدالة الاجتماعية، ويحافظ على حقوق الطرفين.

ولفت إلى أن مجلس النواب يناقش القانون المقدم للحكومة بتروٍّ وهدوء، ويستمع إلى الآراء المختلفة من الخبَراء والمعنيين من المُلاك والمستأجرين، كاشفًا أن القاهرة، والإسكندرية، والجيزة، والقليوبية، بها نسبة ٨٢٪ تقريبًا من المساكن الخاضعة لقانون الإيجار القديم، و١٨٪ في باقي المحافظات؛ لذا جرى عقد جلسات في مجلس النواب مع محافظي هذه المدن، لمناقشة هذه المسألة.

مراعاة البعد الاجتماعي

وقال النائب إيهاب منصور عضو مجلس النواب ووكيل لجنة القوى العاملة: «إن المشروع خطوة مهمة لتعديل العلاقة بين المالك والمستأجر، لكنه يحتاج إلى بعض التفاصيل؛ لضمان تحقيق التوازن بين حقوق المُلاك والمستأجرين".

وأشار منصور إلى ضرورة تقسيم الإيجار إلى شرائح وفقًا لعوامل الدخل الشهري، وحجم الوحدة، وموقعها؛ لضمان عدم المساواة بين المساحات الكبيرة والصغيرة، والوحدات في الأماكن الراقية والشعبية. مضيفًا أن هذه التفاصيل تساعد في الوصول إلى قانون له معنى وقادر على حل المشكلة بشكل دقيق.

وأردف أنه من غير المعقول أن يدفع مستأجر معاشه كاملًا في مقابل إيجار قديم. وبعد ذلك ننظر إلى الحالة الاجتماعية للمستأجر، إذا كان من فئة تكافل وكرامة أو من أصحاب المعاشات، فمثل هذه الحالات لا بد أن تتحملها الدولة؛ حتى لا نحمل المستأجر عواقب الأزمة كلها.

وكشف أنه في اجتماعات مجلس النواب أبدى ملاحظاته على الكثير من البنود فى مشروع القانون، بينها مواد تأتي على حق المالك، وأخرى تأتي على حق المستأجر. مضيفًا أن ملاحظاته جاءت حرصًا منه على تشريع قانون يكون قابلًا للتنفيذ، وحرصًا على مصلحة طرفي الصراع المالك أو المستأجر.

وأوضح منصور أنه حتى الآن ما زلنا في طور المناقشات في لجان جلسات استماع في مجلس النواب، مضيفًا أن النقاشات الحالية تتركز حول زيادة القيمة الإيجارية بنسبة ١٥٪ سنويًا على مدار خمس سنوات، وأن من حق المجلس إجراء تعديلات، أو الحذف، أو الإضافة، وفقًا لما تقتضيه المصلحة العامة.

وأكد على ضرورة مراعاة العدالة الاجتماعية عند إقرار تعديلات الإيجار القديم، وفيما يتعلق بفترة الخمس سنوات، يجب إعادة النظر في النصوص الحالية.

فرصة جديدة

وأكد محمد فؤاد الخبير العقاري وعضو جمعية رجال الأعمال المصرية البريطانية، أن قانون الإيجارات القديمة بصيغته الحالية يعوق حركة السوق، ويبقي عشرات الآلاف من الوحدات السكنية خارج الدورة الاقتصادية الفعالة.

وأشار إلى أن التقديرات تكشف وجود ما يزيد عن ١,٨ إلى ٢ مليون وحدة سكنية في مصر مؤجرة بنظام الإيجار القديم، منها نسبة كبيرة جدا غير مستغلة فعليًا، سواء بسبب الاستخدام غير المنتظم، أو الإغلاق الكامل.

ولفت إلى أن تأخر الحكومة في تقديم مشروع قانون لتعديل قانون الإيجار القديم، يخلق حالة من الجمود في أهم القطاعات المرتبطة بالاقتصاد العقاري، وتحقيق العدالة الاجتماعية، في الوقت الذي تعاني فيه الدولة من فجوة سكنية تقدر بنحو ٣ مليون وحدة سكنية، بحلول عام ٢٠٣٠.

وأوضح أن استمرار الوضع الحالي دون تعديل تشريعي واضح ومتوازن، سيشكل عبئًا اقتصاديًا واجتماعيًا على المدى الطويل، سواء على المواطنين، أو على الدولة، خاصة مع أصحاب العقارات الذين يتقاضون إيجارات رمزية، لا تتناسب إطلاقًا مع قيم السوق الحالية، والتي لا تتجاوز في أغلب الأحيان ١٠ إلى ٢٠ جنيهًا شهريًا.

وأردف أن التأخير في طرح القانون الجديد يفتح المجال أمام تصاعد التوتر المجتمعي بين المالك والمستأجر، ويخلق حالة من الترقب والبلبلة القانونية، في ظل غياب جدول زمني محدد لتطبيق التعديلات المقترحة.

وأكمل أن التطبيق المفاجئ أو غير المنظم سيخلق حالة من التوتر ما بين المالك والمستأجر، خاصة في حالات الأسر محدودة الدخل أو كبار السن، مؤكدًا ضرورة وجود خطة حماية اجتماعية، وإدارة الملف بحكمة لحساسيته؛ لتحقيق العدالة الاجتماعية والتوازن بين الحقوق والواجبات.

ولفت فؤاد أن من أهم التأثيرات الإيجابية لإقرار القانون الجديد، تحفيز الاستثمار العقاري، وذلك مع استعادة المالكين حقوقهم ستزيد جاذبية الاستثمار في العقارات وخاصة القديمة؛ مما يشجع على إعادة إحياء المناطق القديمة، مثل: الزمالك، وجاردن سيتي، ووسط البلد، وغيرها.

وأكد أنه إذا تم التعامل مع الملف بشفافية عبر إشراك المجتمع المدني، سيكون فرصة جديدة لبناء الثقة بين المواطن والدولة، خاصة في ظل الأزمات الاقتصادية الحالية.

واختتم حديثه لـ«المشهد» بأن دمج هذه الوحدات تدريجيًا في السوق سيضخ ذلك ما بين ٥٠ إلى ٧٠ مليار جنيه في الاقتصاد العقاري، خلال السنوات الخمس الأولى من التطبيق، وذلك مع توفير بدائل سكنية ملائمة للمستأجرين.

أزمة اجتماعية

ورأى الدكتور رشاد عبده رئيس المنتدى المصري للدراسات الاقتصادية، أن مشروع تعديل قانون الإيجار القديم بصيغته الحالية، يعكس انحيازًا واضحًا لمصلحة المُلاك على حساب الفقراء والمستأجرين، الذين يشكلون الشريحة الكبرى من المواطنين.

وأضاف أن ذلك يتنافى مع مبدأ العدالة الاجتماعية، وينذر بخلق أزمة اجتماعية متفاقمة، إذا لم يعالج بمنهج متوازن، لافتًا إلى ضرورة أن تأخذ الدولة بعين الاعتبار الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها عموم المواطنين، ولا سيما في ظل الغلاء وارتفاع الأسعار.

وأردف أن الظروف الاقتصادية الراهنة تستوجب معادلة أكثر عدلًا، تضمن حقوق الطرفين دون تغليب فئة على أخرى، متسائلًا عن عدد المُلاك ممن يمتلكون أكثر من عقار، وكم عدد المستأجرين الذين يعيشون في وحدات بالإيجار القديم، في ظل أن الأغلبية الساحقة هم من المستأجرين.

وأضاف أن الإيجار الجديد ليس في متناول كثر، ما يعكس أزمة أوسع تحتاج إلى مقاربة عادلة وشاملة، لا تكتفي بحلول جزئية أو انحيازات طبقية.

ودعا عبده إلى صياغة قانون توافقي لا ينحاز لطرف على حساب آخر، يراعي الواقع الاقتصادي القاسي الذي يعيشه المواطن، منتقدًا ما ورد في مشروع القانون بشأن منح مهلة خمس سنوات فقط.

واقترح استبدال الصيغة المقترحة، بخطة تدريجية عادلة، يضعها خبراء اقتصاديون وقانونيون، بحيث ترفع القيمة الإيجارية سنويًا بنسب مقبولة ومعقولة، ويظل سقف الزيادة خاضعًا لمعيار القدرة على الدفع.

صندوق اجتماعي

وكشف الدكتور خالد الشافعي الخبير الاقتصادي، أن الهدف من التعديلات الجديدة هو تنفيذ تعليمات حكم المحكمة الدستورية، التي أقرت بذلك، مضيفًا أن العلاقة بين المالك والمستأجر علاقة شائكة، منذ تاريخ صدور هذا القانون إلى الآن.

وأشار إلى أنه مع زيادة التضخم وارتفاع الأسعار، فإن الوقت قد حان لوضع حلول على أرض الواقع، تتماشى مع طبيعة هذه الفئات، بشرط ألا يترك شخص دون مسكن.

اقترح الشافعي ضرورة تخصيص صندوق على مستوى الجمهورية، لمساعدة المتضررين من المشروع الجديد، يتكفل ببناء مساكن بديلة لمن لا يستطيع.

وأضاف أن هذا الاقتراح سيحل أزمة كبيرة ومشاكل كثيرة، وفي الوقت نفسه سيحافظ على النسيج المجتمعي، وسيسهم في تحقيق العدالة الاجتماعية.

ولفت الشافعي إلى خطورة إصدار القانون دون إيجاد بدائل تناسب المتضررين، موضحًا أن غياب البدائل سيؤدي إلى خلل جسيم لفئة، سيحول قطاعًا من المجتمع من الأمان والاستقرار إلى الهاوية.

غير دستوري

وحذر شريف الجعار المحامي ورئيس اتحاد مستأجري مصر، من خطورة المشروع، لافتًا إلى أن بنوده تتصادم مع أحكام المحكمة الدستورية، وتهدد الأمن الاجتماعي لملايين المواطنين.

وأشار الجعار إلى أن أصل العلاقة الإيجارية هو التراضي بين المالك والمستأجر، موضحًا أن المادة ٩٦ من قانون ٤٩ لسنة ٧٧ تنص على أنه "حينما يتقدم المالك لبناء العقار عليه أن يحدد غرض البناء تمليكا أو تأجيرًا، وفى حالة التأجير يحصل على دعم من الدولة، وإعفاؤه من الضرائب".

وأضاف أن هناك كثير من المُلاك من حصلوا على قروض ميسرة لترميم وصيانة العقار، ولم يحدث أي ترميم في أغلب الأحوال.

واستنكر الجعار النص على زيادة الأجرة ٢٠ ضعفًا، مؤكدًا أن مشروع القانون يحتاج للدراسة، وبه الكثير من المغالطات.

ولفت إلى أن التمييز بين القادر وغير القادر، وفرض تقديم إقرار الذمة المالية، تمييز غير مقبول، مشيرًا إلى أن الجميع قد دفعوا المبالغ المطلوبة وقت تأجير الوحدات، كما أن وضع مدة انتقالية غير دستوري.

وفي الأخير تكشف آراء الخبراء التي استعرضتها «المشهد» لتعديل قانون الإيجار القديم، تحمل في طياتها فرصًا لتحسين الوضع الاقتصادي وتحريك السوق العقارية، لكنه في الوقت ذاته يثير مخاوف بشأن العدالة الاجتماعية واستقرار الأسر المستأجرة. لذا يوصى بأن يتم التعديل بطريقة تدريجية ومدروسة، مع توفير بدائل سكنية، ودعم المستأجرين المتضررين؛ لضمان تحقيق التوازن بين حقوق المُلاك واحتياجات المستأجرين.

تحقيق: حنان موسى

قالت العرب
«انتظري الفكرة، لا تنتظري المفكّر. انتظري القصيدة، ولا تنتظري الشاعر. انتظري الثورة، ولا تنتظري الثائر. المفكّر يخطئ، والشاعر يكذب، والثائر يتعب.»
محمود درويش (-1941 2008)

المشهد
العدد 339 – السنة الرابعة عشرة -الأحد 25 مايو 2025 م الموافق 27 ذو القعدة 1446 هـ

هوليوود ..كيف تتأثر بالرسوم الجمركية على الأفلام المنتجة بالخارج

اقتراح ترامب السخيف بذريعة تهديد أمن أمريكا القومى يضعها فى مصاف الدول الاستبدادية

فى ظل اقتراح الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، فرض رسوم جمركية بنسبة ١٠٠٪ على الأفلام المنتجة فى الخارج، واصفًا إياها بالتهديد للأمن القومى الأمريكي، نشر الكاتب والناقد السينمائى والأستاذ فى جامعة نيو يورك (توم شون) مقالته فى الجارديان الأمريكية بعنوان: «امنع تلك القذارة الأجنبية! هل يُمكن للسينما أن تهدد الأمن القومي؟».

فيما يلى نستعرض المقال:

«إن خطة رئيس الولايات المتحدة لهوليوود مليئة بالثغرات فى حبكتها، ولكن عندما يتعلق الأمر بالدعاية الخفية المدسوسة فى الأفلام، فقد يكون محقًا.

كما هو الحال دائمًا مع تصريحات الرئيس ترامب، بمجرد إزالة كراهية الأجانب، ومحو نكهة الاستياء، وتجاهل السخافة المُطلقة، وغض النظر عن احتمالية عدم الشرعية، كان هناك جوهر ضئيل من الحقيقة فى منشوره على موقع «تروث سوشيال» ، حيث كتب: «إن صناعة السينما فى أمريكا تموت موتًا سريعًا للغاية»، مُشيرًا إلى الإعفاءات الضريبية الشنيعة التى قدمتها الدول الأخرى لصانعى الأفلام باعتبارها «تهديدًا للأمن القومي»، ومقترحًا فرض رسوم جمركية بنسبة ١٠٠٪ على الأفلام المُنتجة فى الخارج؛ حيث رأى «أنها، بالإضافة إلى كل شيء آخر، رسالة ودعاية! نريد أفلامًا مُنتَجة فى أمريكا مرة أخرى!».

كيف يُمكن تطبيق رسوم جمركية بنسبة ١٠٠٪ على الأفلام المُنتجة فى الخارج؟ هل يقتصر الأمر على الأفلام المُصوّرة فى الخارج فقط؟ ماذا عن الأفلام المُستعان فيها بمواقع فى دول أخرى؟ ومن سيدفع؟ كيف تفرض رسومًا جمركية على البضائع دون ميناء دخول؟ قال مسؤول فى البيت الأبيض: «التجارة ستكتشف ذلك». فى الواقع، تُدرج الأفلام كاستثناء من السلطة الرئاسية بموجب قانون الصلاحيات الاقتصادية الطارئة الدولية، الذى يمنح الرئيس سلطة معالجة تهديدات الأمن القومي، لذا فمن المرجح أن ينتهى الأمر بالمحامين إلى حل الأمر، إذا مضت خطة ترامب قدمًا. لكن العديد من المديرين التنفيذيين فى هوليوود يوافقون بهدوء. صحيح أن لوس أنجلوس شهدت انخفاضًا فى أيام تصوير الأفلام غير القصيرة من ٣٩٠١ فى عام ٢٠١٧ إلى ٢٤٠٣ فقط فى عام ٢٠٢٤، أى بانخفاض قدره ٣٨٪. يتم تصوير العديد من الامتيازات الرئيسية مثل: (أفاتار، ومهمة مستحيلة) فى الغالب فى الخارج، حيث يعوض إغراء الإعفاءات الضريبية المربحة عن المضايقات البسيطة، كغزو بعض أغنام ديربيشاير فى أحد مشاهد الطيران الشراعى لتوم كروز.

أما عن مسألة ما إذا كانت جولات إيثان هانت (الشخصية الرئيسية فى فيلم المهمة المستحيلة) فى منطقة البحيرات فى بريطانيا، تُمثل تهديدًا مشروعًا للأمن القومى – على عكس، على سبيل المثال: إدراج خطط حرب حساسة فى دردشة جماعية – فمن الأفضل تركها للمؤرخين. إن رؤية ترامب لسينما «ماغا» تشبه إلى حد كبير رؤيته لـ«ماغا أمريكا»: محاولة لإعادة عقارب الساعة إلى خمسينيات القرن الماضي، حينما كانت الأفلام لا تزال تُصوّر فى استوديوهات هوليوود الخلفية، وكان إقبال الجمهور على دور السينما فى ذروته، وأغرقت الولايات المتحدة الدول التى كانت صناعاتها السينمائية مقيدة بالحصص سابقًا، والتى دمرتها الحرب، بالأفلام الأمريكية، كجزء من خطة مارشال.

كتب الصحفى السياسى والتر ليبمان فى كتابه «الحرب الباردة: دراسة فى السياسة الخارجية الأمريكية» (١٩٤٧): «ما نحاول فعله فى أوروبا فى الواقع هو إنشاء خطة مارشال للأفكار». «لقد أنشأنا أثينا جديدة، أثينا سينمائية، تُبث فيها الأفلام والأفكار حول الحرية، والديمقراطية، وتقرير المصير، إلى جميع أنحاء العالم».

(الجدير بالذكر أن خطة مارشال كانت خطة لدعم التعافى الاقتصادى لدى البلدين، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، وتأمين نفوذ جيوسياسى للولايات المتحدة فى أوروبا الغربية)

كعادته، يلعب ترامب بورقة المنتصر الضحية. لقد اعتدنا سماع صرخات الحمائية من الدول الصغيرة التى تحتج على الهيمنة السينمائية الأمريكية، وليس العكس. قال المخرج رينيه كلير بعد توقيع فرنسا على اتفاقية بلوم- بيرنز عام ١٩٤٦، التى سددت جزءًا من ديون الحرب الفرنسية، مقابل فتح دور السينما الفرنسية للأفلام الأمريكية: «سنصبح مستعمرة ثقافية للولايات المتحدة إذا استمر هذا الوضع». وفى عام ١٩٩٣، عندما اقتحم فيلم «متنزه الديناصورات/ جوراسيك بارك» لصانع الأفلام سبيلبرغ ٤٥٠ دار سينما – أى ربع إجمالى دور السينما فى البلاد، البالغ عددها ١٨٠٠ دار – أعلن وزير الثقافة الفرنسى جاك توبون أن الفيلم «يشكل تهديدًا للهوية الوطنية الفرنسية»، وادعى أن من «الواجب الوطني» على كل فرنسى أن يشاهد بدلاً من ذلك فيلم «جيرمينال»، وهو مقتبس من رواية إميل زولا عن عمال مناجم الفحم فى القرن التاسع عشر من بطولة جيرار ديبارديو.

مع بدء المفاوضات حول التعريفات الجمركية ومحادثات التجارة، أصبح فيلم «جوراسيك بارك» بمثابة كرة قدم سياسية «لمواجهة اليانكوصورات التى تهدد بلادنا بقوة متجددة»، كما وصفتها صحيفة «ليبراسيون». وصرح المخرج برتراند تافيرنييه للبرلمان الأوروبي: «لا يمكننا السماح للأمريكيين بمعاملتنا بالطريقة التى تتعاملون بها مع الهنود الحمر».

قد يبدو أحيانًا إلباس توغل القوة الناعمة عباءة التهديد بالقوة أمرًا لا يُقاوم، لكن ثمة فجوة شاسعة بين «التهديدات المُتصوّرة للأمن القومي» و«التهديدات الفعلية للأمن القومي». إن اقتراح ترامب بإعادة عظمة الأفلام الأمريكية سيضع الولايات المتحدة فى مصاف الدول الانعزالية والاستبدادية مثل: الصين وإيران. عندما حقق فيلم «أفاتار» شعبية واسعة لدى الجمهور الصينى عام ٢٠١٠، سُحب مبكرًا من دور العرض؛ لإفساح المجال لفيلم سيرة ذاتية عن كونفوشيوس، بعد أن خشى المسؤولون أن تثير مواضيعه المتعلقة بمقاومة الإمبريالية اضطرابات فى إيران. حُكم الشهر الماضى على مريم مقدم وبهتاش سنائيحة، مخرجى الفيلم الرومانسى اللطيف «كعكتى المفضلة»، الذى ظهرت بطلته بدون حجاب، بالسجن ١٤ شهرًا بتهمة «نشر الأكاذيب بقصد إزعاج الرأى العام».

يُعرف جهاز الأمن القومى فى الدولة بضعف نقده السينمائي. عندما سمحت السلطات السوفيتية بعرض فيلم جون فورد المُقتبس عن رواية جون شتاينبك «عناقيد الغضب» (١٩٤٠) فى دور السينما على أساس أنه يُظهر معاناة عائلة مزارعين أمريكية فقيرة، خلال فترة الكساد الكبير، علق أحد الحضور- حسبما ورد – قائلًا: «ربما كانوا فقراء، لكن على الأقل كانوا يمتلكون شاحنة». من المهم أن نتذكر أنه على الرغم من أن فرنسا حاولت إعادة تمثيل معركة ليتل بيغهورن بسبب تدفق أفلام هوليوود عام ١٩٤٦، إلا أنها خسرت، وكانت النتيجة هى الموجة الفرنسية الجديدة، حيث حاول مخرجون مثل: تروفو وغودار وريفيت وشابرول مواكبة التدفق المفاجئ للأفلام الأمريكية، وصنعوا أفلامًا محلية خاصة بهم. قال تروفو، الذى شاهد بين عامى ١٩٤٦ و١٩٥٦ أكثر من ٣٠٠٠ فيلم لأمثال ويلز وهيتشكوك وفورد، والتى تراكمت عليها الأتربة خلال الاحتلال النازي: «ما دفعنى إلى السينما هو تدفق الأفلام الأمريكية إلى باريس بعد التحرير».

لطالما كانت الأفلام وسيلة وسوقًا عالمية، وهى تزداد كونها كذلك. ربما سحق فيلم «جوراسيك بارك» فيلم «جيرمينال» فى شباك التذاكر، بفارق مليار دولار مقابل ٦ ملايين دولار، لكن عام ١٩٩٣ شهد نقطة تحول مهمة أخرى؛ حيث تجاوزت إيرادات هوليوود الخارجية الإيرادات المحلية، لأول مرة فى تاريخها. اليوم، تُشكّل الأسواق العالمية أكثر من ٧٠٪ من إيرادات شباك التذاكر فى هوليوود. ومن المفارقة أن هوليوود من الأماكن القليلة التى لا تشهد فيها الولايات المتحدة عجزًا تجاريًا مُقلقًا، كالذى يُسببه ترامب.

ووفقًا لـ (جمعية الصور المتحركة/ موشن بيكشر أسوسييشن)، تتمتع الصناعة بفائض تجارى قدره ١٥,٣ مليار دولار، ومع هذا الفائض، تراجع واضح فى كمية التلويح بالأعلام الأمريكية التى نراها على الشاشة؛ فقد حُذفت نسخة من النشيد الوطنى الأمريكى من فيلم «قصة لعبة ٢»، وخُفّف بعض الانحراف فى فيلم «بوهيميان رابسودي» فى السوق الصينية، وأزال منتجو فيلم «توب غان: مافريك» علم تايوان من سترة مافريك؛ لإرضاء الرقابة الصينية، ولكن بعد انسحاب شركة تينسنت، إحدى الشركات الصينية الداعمة للفيلم، أُعيد رفعه، على الأقل فى النسخة التى عُرضت فى تايوان.

لا يُمكنك الاستمتاع بالهيمنة السينمائية على الدول الأخرى، والتباهى بعدم الحساسية تجاه ثقافاتها. ومن هنا جاء الجُبن الذى سيطر على شركة سونى بيكتشرز، بعد فيلم «المقابلة» الكوميدى لسيث روجن وجيمس فرانكو عام ٢٠١٤، والذى تدور أحداثه حول صحفيين أخرقين ينتهى بهما المطاف متورطين فى مؤامرة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، لاغتيال كيم جونغ أون، مما دفع الحكومة الكورية الشمالية إلى الإسراع فى إصدار تهديد «بتدمير بلا رحمة أى شخص يجرؤ على إيذاء أو مهاجمة القيادة العليا للبلاد ولو قليلا». بعد اختراق أجهزة كمبيوتر سونى بيكتشرز، ونشر رسائل بريد إلكترونى حساسة بين مديريها التنفيذيين على الإنترنت، تراجعت سوني، وسحبت الفيلم من العرض، بينما تخلت شركة إنتاجها، نيو ريجنسي، بهدوء عن فيلم كوميدى آخر تدور أحداثه فى كوريا الشمالية، بعنوان «بيونغ يانغ»، والذى يتناول قصة أمريكى متهم بالتجسس فى البلاد. غرّد نجم الفيلم، ستيف كاريل، قائلاً إنه «يوم حزين للتعبير الإبداعي».

هل هذا ما يعنيه ترامب بـ«الرسائل والدعاية» نظرًا لشغفه بكيم جونغ أون وكراهيته للمثلية الجنسية؟ على الأرجح لا، لكن فكرة الرسائل السرية التى تُجبَر الأفلام الأمريكية على حملها إذا صُوّرت فى الخارج، تبدو بمثابة مصدر قلق آخر لترامب. أجاب بيل ميكانيك، الرئيس التنفيذى لشركة بانديمونيوم فيلمز والمدير التنفيذى الذى أشرف على تصوير فيلمى تايتانيك لجيمس كاميرون فى المكسيك وهاكسو ريدج لميل جيبسون فى أستراليا: «لقد أنتجتُ أو أشرفتُ على مئات الأفلام التى صُوّرت فى الخارج؛ بل بنيتُ استوديوهات فى أستراليا والمكسيك لهذا الغرض». وأضاف: «باستثناء الصين، التى عرضت شروط إنتاج مشترك صارمة، لم تُعلّق أى حكومة أجنبية على أى محتوى سياسى فى أى من هذه الأفلام. لم تطلب أى منها أى تغييرات، ولم تقترح أى فكرة».

لا شك أن فيلمى تايتانيك وهاكسو ريدج كانا لينجوّا من الرسوم الجمركية التى اقترحها ترامب. من الصعب تصوّر كيف يُمكن لعقوبة قاسية كهذه، مثل فرض رسوم جمركية بنسبة ١٠٠٪، أن تُساهم فى دحر قوى العولمة التى لا رجعة فيها. إن السبيل لإعادة الإنتاج إلى الولايات المتحدة يكمن فى تحفيز صانعى الأفلام بإعفاءات ضريبية، لا تهديدهم بالرسوم الجمركية. أما التأثير الأكثر ترجيحًا للرسوم الجمركية، فهو خنق ما تبقى من حيوية فى قطاع توزيع الأفلام السينمائية المتعثر أصلًا، والقضاء على قطاع الإنتاج المستقل، وجعل معظم الإنتاجات منخفضة ومتوسطة الميزانية غير قابلة للتمويل؛ بل وحتى التأثير سلبًا على الأفلام الضخمة مثل: «مهمة مستحيلة»، مع إعادة الاستوديوهات ضبط هوامش ربحها. سيؤدى ذلك إلى إنتاج عدد أقل من الأفلام فى الولايات المتحدة، لا أكثر.

ولكن من المشكوك فيه أن يكون دعم هوليوود هو الهدف بالفعل. ترامب، المؤمن بالأسواق الحرة، إلا عندما لا يكون كذلك، بدأ بالفعل بالتراجع عن اقتراحه السخيف؛ حيث صرّح البيت الأبيض بأنه «لم تُتخذ أى قرارات نهائية بشأن الرسوم الجمركية على الأفلام الأجنبية». لن تعود هوليوود إلى الخمسينيات الأمريكية فى أى وقت قريب. «أثينا السينمائية» التى روج لها والتر ليبمان، أصبحت الآن أشبه بقسطنطينية سينمائية – دولية، متعددة، ومترابطة بشكل متزايد. لقد كان شعار نظام دوبلى لجورج لوكاس: «العالم يستمع» نعم، لكن العالم يتحدث الآن أيضًا. وقد حان دور هوليوود للإنصات.»

المصدر:
https://www.theguardian.com/film/2025/may/09/ban-this

ترجمة: فدوى مجدي

مؤشرات

للدبلوماسية القذرة وصور ترامب المضللة

محمود الحضري

ما جرى من جانب سمسار العقارات الرئيس الأمريكى "دونالد ترامب"، مع نظيره الجنوب الأفريقى "سيريل رامافوزا"، يوم الأربعاء ٢١ مايو ٢٠٢٥ يدخل فى الجليطة وقلة الأدب، او ما يمكن تسميته بـ"الدبلوماسية القذرة".

الأصول والبروتوكولات المتعارف عليها تؤكد أن لقاءات رؤساء الدول تخضع لبروتوكولات دبلوماسية صارمة تضمن احترام الأصول الدبلوماسية وتحقق الانسجام فى العلاقات الدولية، من خلال إعداد برنامج زيارة، وتنسيق الاستقبالات والتوديع، وتنظيم المراسم المختلفة، بالإضافة إلى عدد من الممارسات التى تضمن احترام الرموز الوطنية، والاحترام المتبادل.

وفى التاريخ الدبلوماسى لم يحدث ما جرى من سمسار العقارات بدرجة رئيس "دونالد ترامب" مع رئيس جنوب إفريقيا "سيريل رامافوزا"، ففى الكمين الذى أعده الرئيس السمسار، بمساعدة فريق عمله، وشارك فيه معاونوه، وأمريكيون من أصول جنوب إفريقية، حاول توريط واحراج الرئيس "رامافوزا"، بعرض صور وشريط فيديو توثق دفن مزارعين بيض قتلوا فى جنوب أفريقيا.

وفى المشهد الذى شهدته كل الدنيا ومازال حديث العالم، أخرج ترامب صورة مطبوعة متهما حكومة رامافوزا بالتقاعس عن حماية المزارعين البيض، مكرراً رواية قديمة حول "إبادة جماعية بيضاء" فى جنوب أفريقيا، بالرغم من قيام خبراء بنفى تلك المزاعم عدة مرات بمعلومات وبيانات رسمية، موثقة.

ومن الواضح أن هناك ربط بين مزاعم "ترامب"، ومزاعم أخرى طالما رددها داعمو إدارة ترامب من خلال المبالغة فى طرح الادعاءات بشأن ممارسة العنف ضد الأقلية البيضاء فى جنوب إفريقيا وهو ما قاله مناصرو ترامب ذوى الأصول الإفريقية، وهو ما قاله "إيلون ماسك"، والمذيع السابق فى قناة فوكس نيوز "تاكر كارلسون"، وما قدماه من تقارير بشأن مزاهم عن وجود إبادة جماعية مزعومة على أيدى مواطنين سود ضد جنوب إفريقيين بيض، وما ثبت أن تلك الادعاءات غير صحيحة ببيانات موثقة.

ومحاولة الرئيس الأمريكى وسمسار العقارات، من المهم ربطها بموقف جنوب إفريقيا الرافض للعدوان الصهيونى على مواطنى غزة، والإدانات الواسعة لدولة جنوب إفريقيا، وقيامها بتحريك دعاوى قضائية أمام المحاكم الدولية، والتى صدرت بها أحكام فعلية.

وقوبلت دبلوماسية ترامب القذرة، برفض من كل الأوساط، وكفى التدليل على ذلك من خلال ما قاله "باتريك جاسبارد" السفير الأميركى السابق لدى جنوب أفريقيا فى عهد "باراك أوباما" "إن ترامب حول الاجتماع مع رئيس جنوب إفريقيا "رامافوزا" إلى "مشهد مخز"، مضيفاً فى تغريدة على "إكس" "أن التعامل بشروط ترامب لا يسير على ما يرام بالنسبة لأى شخص"

إلا أن الكذب والتدليس سريعاً ما يتكشف، ولم تمر سوى ٧٢ ساعة، وتتكشف الحقيقة، والتضليل الذى ارتكبه رئيس أكبر دولة فى العالم، وذلك من خلال ما كشفته وكالة "رويترز"، والتى فضحت صورة ترامب المغلوطة التى استخدمها ضد حكومة جنوب أفريقيا، والتى تبين أنها لقتلى بيض فى جمهورية الكونغو الديمقراطية، وتم التقاطها فى الكونغو، ولا علاقة لها بجنوب إفريقيا من قريب أو بعيد.

بل زادت وكالة رويترز فى نشر التفاصيل، بالتأكيد على أن الصور هى لجنازة جماعية فى مدينة "جوما" شرقى الكونغو لضحايا سقطوا فى اشتباكات بين الجيش ومتمردى حركة "إم ٢٣"، ولا علاقة لها بالمزارعين بجنوب أفريقيا، وترجع لشهر ديسمبر ٢٠٢٢، أى قبل عامين ونصف العام.

وفى الوقت الذى يواصل "ترامب" الصمت على جرائم الكيان الصهيوني، فشل فشلا ذريعا أن يوجه الدفة بعيدا عن جرائم الصهاينة، ومحاولة فتح جبهة إعلامية ضد اتهامات مزعومة، لجنوب إفريقيا، وقد قوبلت محاولات الرئيس وسمسار العقارات، بالرفض، ووصفها البعض بأنها محاولة قذرة، واستفزاز غير مبرر، وتلاعب خطير فى العلاقات الدولية.

ومن اللافت للنظر أن رئيس جنوب إفريقيا، "سيريل رامافوزا"، كان أكثر انضباطا فى ردود أفعاله، على استفزازات ترامب، خصوصا عندما رد على سمسار العقارات بالقول "أنا آسف ليس لدى طائرة أقدمها لك"، وهو الذى يمثل إشارة إلى الطائرة الفاخرة التى قدمتها قطر لترامب.

وليس هناك أدنى شك فى أن ما جرى خلال هذا الاجتماع الرئاسي، تم إعداده لوضع رئيس جنوب إفريقيا، فى موقف محرج، بالرغم من ردوده الواضحة تجاه كل مزاعم "ترامب".

ويبقى سؤال مهم يحتاج إلى إجابات متخصصة.. فى مثل تلك المزاعم التى تصل من رئيس دولة كبرى إلى دولة أخرى، وعلى الهواء مباشرة، ويتضح كذبها، وأنها مضللة.. بخلاف أنها محاولة للإساءة فى منهج العلاقات الدولية.. فكيف يتم التعامل معها دوليا، لرد حق الدولة المستهدفة من التضليل؟ .. شخصيا ليس لدى إجابة، وأحتاج وأعتقد يحتاج غيرى لتوضيح، مع آلية توبيخ المتهم فى ذلك، وهو رئيس أكبر دولة.... تضامنوا مع حقوق جنوب إفريقيا.

المشهد

تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر «ش.م.م»

مدير التحرير
محمد موسى

الإخراج الصحفى:
هالة سعيد - شيماء جمال

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى. الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣ـ ٣٧٧٢٢٠٣٤
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash_had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 339 – السنة الرابعة عشرة -الأحد 25 مايو 2025 م الموافق 27 ذو القعدة 1446 هـ

درس دى نيرو الذى لم ينته بعد!!

بقلم:
شريف سمير
نائب رئيس تحرير الأهرام

جرت العادة فى أى مناسبة ثقافية أو حدث فنى أن يستغل النجم الكبير الموقف ويجسد مشهد بطولة أمام السلطة إما بالإشادة أو الافتخار وأحيانا كثيرة بقصائد المديح والتملق .. إلا العالمى روبرت دى نيرو .. السهل الممتنع فى أدائه أمام الكاميرا، وفى شجاعته وجرأته فى نقد النظام السياسى بأسلوب لاذع لايخشى أحدا ولايسمع سوى صوت الضمير!.

أثناء تكريم الفتى الإيطالى العجوز فى مهرجان كان السينمائى ٢٠٢٥ ومنحه جائزة السعفة الذهبية الفخرية عن مجمل أعماله، شن هجوما شرسا وجديدا على الرئيس الأمريكى دونالد ترامب، واصفا إياه بـ«الرئيس المتخلف ثقافيا» .. ووقف نجم الأوسكار فوق المنصة وأوجز رأيه وشهادته أمام التاريخ فيما يحدث من حوله، فى عبارة نارية قائلا :«نحن نعيش فى فترة مظلمة يعود فيها المتخلفون فكريا إلى الواجهة» .. وانتهى إلى أن أصدق الفنانين يشكلون تهديدا للطغاة والفاشيين فى العالم!.

النجم الكبير يستغل الموقف ويجسد مشهد بطولة أمام السلطة إما بالإشادة أو الافتخار

شجاعة دى نيرو ليست وليدة لحظة نشوة وزهو، أثناء التكريم أمام الآلاف من زملاء المهنة والملايين من عشاقه وجماهيره .. ولكن سبقتها مناسبات أخرى لم يدخر جهدا أو كلمة لفضح ممارسات وافكار أكبر رأس فى الولايات المتحدة، إيمانا منه بأن الأخير يجب أن يعمل فى خدمة المواطن وليس العكس .. فوصف نجم هوليوود ملياردير البيت الأبيض بأنه ليس سوى رجل سيء وشرير لا يمتلك أى حس أخلاقى أو إحساس بالمسؤولية تجاه الآخرين .. وأكد دى نيرو أنه قضى سنوات فى دراسة وتحليل الشخصيات الشريرة، ودرس خصائصهم وسلوكياتهم، إلا أنه يرى أن ترامب مختلف عنهم، إذ أن المجرمين التقليديين لديهم رمز شرف أو إدراك معين للصواب والخطأ، حتى لو لم يلتزموا به دائما .. بينما الرئيس العائد إلى السلطة يعيش ويتصرف بلا أخلاق أو مبادئ، بل ويهتم فقط بمصلحته الشخصية دون أى اعتبار لمصلحة من وثقوا به أو تعاملوا معه .. ولذلك فترامب لايرقى لمهارة المجرمين الحقيقيين.

كيف امتلك هذا الفنان تلك الحماسة، وحافظ على هذه الجرأة والجسارة فى التعبير عن رأيه والثبات على موقفه ،حتى مع من بإمكانه أن يجبره على الإقامة الجبرية أو الحرمان من الأضواء والشهرة أو الزج به خلف القضبان بصحبة المنحرفين والخارجين عن القانون؟! ... إنها ثقافة الحرية ومنطق التحقق والثقة بالنفس والقدرات .. وقبل هذا وذاك، قناعة الفنان الأصيل بأنه محصن بموهبته وتاريخه من أى تنمر سياسي، أو اضطهاد عنصرى صادر عن أى سلطة .. ودولة الديمقراطية التى تصنعها الشعوب قبل الأنظمة هى البيئة الصحية والعفية الملائمة لاحتضان دى نيرو وأمثاله من رموز القوى الناعمة التى تبنى المجتمعات، وتحطم أصنام وتماثيل الحكام والطغاة وحاشية الفساد!.

– جميل درسك البليغ وخطابك الأكثر بلاغة واحتراما يا إكسير شباب الوعى والنبل فى ثوب «الثمانيني» الرشيد!!

اهداء من الفنان: محمد عبداللطيف للمشهد

سيرك مسرحى جديد داخل البيت الأبيض

بقلم:
د. صديق جوهر

كانت الدراما المأساوية فى المسرح اليونانى القديم حسب المعايير التى وردت فى كتاب أرسطو (فن الشعر) تشترط وجود شخصية البطل وشخصية شريرة وشخصيات أخرى هامشية ليس لها قيمة فنية علاوة على حبكة درامية مقنعة للجماهير. وفى النهاية لابد من انتصار البطل وتدمير الشرير ويستحسن ذبحه وسفك دمائه على مرأى من الجماهير وبذلك ينتصر الخير على الشر وتتحقق العدالة وتزول لعنة الآلهة وتسقط الأمطار التى توقفت وتخضر الأرض الخراب مرة أخرى.

هذا ما حدث بالضبط فى البيت الأبيض ولكن فى سياق معاصر وفى حضور إيلون ماسك ونائب الرئيس السيد فانس. فبعد خناقة ترامب الشهيرة مع الرئيس الأوكرانى تم إعداد المسرح ووضع الفخ ونصب السيرك مرة أخرى، ولكن هذه المرة لرئيس جنوب إفريقيا الذى يزور أمريكا مع وفد مصاحب له.

محاولة إقناع ترامب أن بلاده لا تمارس أى إبادة ضد المزارعين البيض

فوجيء رئيس جنوب إفريقيا بحضور وفود صحفية أثناء لقاء ترامب وطالبه بأن تكون المفاوضات والمباحثات والحوارات بين الطرفين فى مكاتب مغلقة، ولكن ترامب طنش وفتح النار على الرئيس الإفريقى متهما بلاده بممارسة الإبادة الجماعية ضد الفلاحين البيض (لا تنسوا أن جنوب إفريقيا هى الدولة التى اتهمت الكيان بممارسة الإبادة الجماعية وقدمت الأدلة إلى الجنائية الدولية وتم إدانة بعض قادة الكيان).

المهم حاول الرئيس رامافوزا بكل الطرق إقناع ترامب أن بلاده لا تمارس أى إبادة ضد المزارعين البيض، وأن وزير الزراعة المصاحب للوفد رجل أبيض وهناك العديد من الوزراء البيض رغم أن البيض يشكلون ٧ فى المئة من عدد السكان ولكنهم يسيطرون على ٧٥ فى المئة من الأراضي، ولذلك هناك قانون جديد يجرى تطبيقه تحاول الحكومة من خلاله تنظيم ملكية الأرض وإعادة توزيعها.

لكن ترامب تجاهل هذه التصريحات واستمر فى الحديث عن هروب البيض من جنوب إفريقيا بسبب الإبادة. ثم أمر ترامب الموظفين بإطفاء الأنوار وبث شريط تليفزيونى يتضمن أغانى لمجموعة من السود ينادون بقتل البيض فى جنوب إفريقيا. ورد الرئيس الجنوب إفريقى بأن الأغانى لمجموعة متطرفة معارضة للحكومة وأن الحكومة أدانت ذلك ورفضته. لكن ترامب استمر فى الهجوم على الرجل.

هنا توجه أحد الصحفيين بسؤال لترامب. قال له (سيبك من الكلام ده يا أبو إيفانكا خلاص عرفنا إللى بيحصل فى جنوب إفريقيا وخلينا نتكلم شوية عن الطيارة بتاعة قطر). هنا صرخ ترامب فى وجه المراسل الصحفى قائلا: أنظروا هذا أحدهم. هذا أحد الصحفيين المزعجين المقرفين وطلب بإخراجه من القاعة. وقال بأن هناك شرذمة من الصحفيين لا هم لهم سوى الحديث عن طائرة واحدة أهديت لأمريكا. عندئذ عقب رئيس جنوب إفريقيا مخاطباً ترامب بسخرية قائلا: يا سيادة الرئيس نحن لا نملك طائرات نهديها لك.

(مساؤكم ترمبى الهوى)

كانوا صوتًا لمن لا صوت له:
حين يصبح الفنان مؤرِّخًا للوجع العام (١ من ٢)

لم يكن الإبداع، سواءً أكان فنيًا مرئيًا، أو أدبيًا مقروءًا، مجرد وسيلة للترفيه، بل شكّل عبر العقود أداة فاعلة للتعبير عن الهموم الوطنية ومقاومة الاستبداد. فقد لعب دور «الصوتِ البديل» حين أخرست المعارضة، وكان ثمن ذلك باهظًا؛ إذ دفع المبدعون ثمن مواقفهم من حريتهم وأمانهم، فتعرّضوا للاعتقال والملاحقة والتهميش، وأحيانًا للسجن والعزل والتشويه المنهج.

وفيما يلى رصدٌ لمجموعة من أبرز المواقف الوطنية التى اتخذها فنانون ومبدعون مصريون، جسّدوا من خلالها معنى الالتزام بقضايا الوطن والحرية:

تحية كاريوكا: أيقونة التمرد

لم تكن تحية كاريوكا مجرد راقصة استعراضية، بل إحدى أبرز الرموز الوطنية فى القرن العشرين. ساندت الفدائيين فى السويس، وساهمت فى تهريب السلاح، ودعمت الضباط الأحرار، وأسست جمعية لمقاطعة الفنانين ذوى الميول الصهيونية.

فى عام ١٩٥٣ سُجنت بعد زواجها من الضابط المنشق مصطفى كمال صدقي، ووجهت إليها تهمة الانضمام إلى تنظيم «حدتو» اليساري، إثر العثور على منشورات سياسية فى شقتها. ورغم تبرئتها لاحقًا، قضت نحو مئة يوم خلف القضبان، لتخرج أكثر صلابة، وتواصل دعمها للجيش فى حرب ١٩٥٦.

فى مهرجان «كان» السينمائي، واجهت الوفد الإسرائيلى بشجاعة نادرة، وهاجمت الممثلة «ريتا هيوارث» علنًا، وبصقت على ممثل أجنبى أساء للمصريين؛ ما كلفها خسارة جائزة النقاد عن دورها فى فيلم «شباب امرأة». فقرّر عبد الناصر تكريمها رسميًا.

بعد نكسة ١٩٦٧، كانت أول المتبرعين للجيش، فقال لها ناصر: «إنت ست بألف راجل يا تحية». وشاركت فى رعاية جرحَى حرب أكتوبر ١٩٧٣، ودعت الفنانين للمساهمة فى الجهد الوطني.

وفى ١٩٨٨، ورغم تدهور صحتها، قادت إضراب نقابات المهن الفنية ضد قانون مجحف، وأضربت عن الطعام عشرة أيام داخل نقابة الصحفيين، ما دفع الرئيس مبارك للتدخل وسحب القانون.

نادية لطفي: كاميرا فى قلب الحصار

كرست نادية لطفى حياتها للفن والوطن. تطوعت كممرضة فى مستشفيات العدوان الثلاثي، وساهمت فى رعاية جرحى الجيش فى ١٩٧٣، فنقلت مقر إقامتها للقصر العيني، وعملت كممرضة محترفة.

سافرت لطفى إلى بيروت عام ١٩٨٢ أثناء الحصار الإسرائيلي، متحدية الخطر؛ لتوثّق بكاميرتها بطولات المقاومة الفلسطينية. كانت الفنانة الوحيدة هناك، وشاركت الفدائيين والرئيس ياسر عرفات لحظات الحصار، فكرّمها وأهداها شاله. وقالت: «مستعدة أدخل فى حيطان ونار، مش بس حصار».

ذكر الشاعر عز الدين المناصرة أن لطفى بقيت فى بيروت حتى خروجها مع المحاصَرين على متن سفينة «شمس المتوسط» إلى طرطوس، ثم منحها الرئيس محمود عباس «نجمة القدس». وصوّرت فيلم «جيوش الشمس» مع شادى عبد السلام، مسجّلة أربعين ساعة من شهادات الأسرى فى ٦٥ و٦٧ عن جرائم إسرائيل. لم تكن كاميرتها أداة تسجيل، بل سلاحًا فى وجه الاحتلال. وكانت تعمل على كتاب وثائقى يوثق الحروب العربية من ١٩٥٦ إلى ٢٠٠٣، مؤكدة مكانتها كفنانة ذات بُعد سياسى وإنسانى فريد.

ليلى مراد: ضحية للتهميش

دعمت ليلى مراد الجيش المصرى فى حرب ١٩٤٨، ورفضت السفر إلى إسرائيل. وأثناء وجودها فى فرنسا، لاحقتها شائعة تبرعها لإسرائيل بـ٥٠ ألف جنيه، بسبب ديانتها اليهودية، فمُنعت من دخول مصر مؤقتًا. لكنها عادت بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ونفت الاتهام فى مؤتمر صحفى قائلة: «كيف أتبرع لدولة لا أعرفها، ولا أتكلم لغتها، ولا أدين بدينها!»، وأكدت أن الادعاء بزيارتها لإسرائيل يعنى اتهامها بالخيانة، وأعلنت استعدادها التام للتحقيق أمام حكومة اللواء محمد نجيب. وبالفعل خضعت للتحقيق، وأثبتت براءتها، وتزوجت من محمد وجيه أباظة، مسؤول شؤون الفن والثقافة، وشاركت فى حملات دعم المجهود الحربي، منها «قطار الفن» لجمع التبرعات، وتبرعت بمبلغ مالي.

لكن زواجها لم يدم طويلًا؛ بسبب اعتراض عبد الناصر على هذه الزيجة. وتعرضت أفلامها للمقاطعة فى بعض الدول العربية حتى ١٩٥٨؛ مما أثّر نفسيًا عليها ودفعها للاعتزال. مواقفها الوطنية لم تبدأ أو تنته عند شائعة التبرع لإسرائيل، فكانت من أوائل الداَعين لمقاطعة المنتجات البريطانية، وقدّمت أغنية «دور يا موتور» دعمًا للفدائيين بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦. وفى ١٩٥٣ غنّت «على الإله القوى الاعتماد»، للتشجيع على الثقة فى الله كقوة عليا، تسند الشعب فى مسيرته نحو التحرر والاستقلال.

أم كلثوم: صراع خفى مع السلطة

شهدت العلاقة بين أم كلثوم وجيهان السادات توترًا غير معلن، إذ رأت جيهان فى كوكب الشرق منافسة رمزية على لقب «سيدة مصر الأولى»؛ لما كانت تحظى به من مكانة شعبية طاغية، وكاريزما تتجاوز أحيانًا الحضور الرسمي. ويُعتقد أن جيهان ساهمت فى تقليص ظهور أم كلثوم فى المناسبات الرسمية بعهد السادات، مقارنة بما نالته من تقدير فى عهد عبد الناصر. هذا التنافس الخفى عكس صراعًا بين شرعية جماهيرية تمثّلها أم كلثوم، وشرعية رسمية مجسّدة فى جيهان السادات.

أول توتر بينها وبين جيهان كان حين ذهبت إلى منزله بالجيزة لتهنئه بتولى الرئاسة، وقالت له: «مبروك يا أبو الأنوار»، فردت عليها جيهان السادات بغضب: اسمه الرئيس محمد أنور السادات.

موقف آخر، حكاه هيكل فى لقاء مع تلفزيون لبنان عام ١٩٩٤، حيث قال هيكل إن أم كلثوم وهو وزوجته، والرئيس السادات وحرمه وعدد محدود جداً كانوا فى ضيافة سيد مرعي، نائب رئيس الوزراء ورئيس مجلس الشعب، وحينها حدث موقف أغضب جيهان السادات.

وحين دخل السادات إلى بيت مرعى كان يرتدى بليزر أسود وقميص أبيض، فنظرت إليه أم كلثوم وقالت ممازحة: «إيه ده ياريس، أنت عامل أبيض وأسود زى الشجر فى الضلمة».

ضحك السادات، لكن زوجته جيهان غضبت وخرجت من المكان.

جيهان السادات من جانبها نفت توتر علاقتها بأم كلثوم، وأكدت أنها ظلت تزورها فى فترة مرضها، مشددةً أن أم كلثوم «كانت ست ذكية جداً وعمرها ما تغلط». لكنها لم تنف لقاءاتها مع أم كلثوم فى بيت سيد مرعي.

لكن شهادة الفنان سمير صبري، تؤكد توتر العلاقة بين أم كلثوم ورموز حكم السادات، وصلت إلى حد منع إذاعة أغانيها فى برنامجه، «النادى الدولي»، بناءً على تعليمات عُليا، حسبما قيل له من إدارة التلفزيون المصرى فى حينه.

وحكى سمير أنه أحرج جيهان السادات خلال حفل كان يقدمه، حضرته أم كلثوم كضيفة متفرجة، حيث همس سمير فى أذن جيهان بأن أغانى أم كلثوم ممنوعة من العرض بأوامر عليا. رداً على همس سمير، ذهبت جيهان إلى حيث تجلس أم كلثوم وسلّمت عليها، ثم نادت على وزير الإعلام، وقالت له: «من فضلك، لا بد أن تذاع أغانى أم كلثوم بكثافة».

وبعدها بيوم، اتصلت أم كلثوم بسمير واستدعته إلى بيتها، وشكرته وقالت له إن ما فعله لم يستطع «أى شنب فى مصر» أن يفعله، بعودة أغانيها للبث بعد شهور من التوقف.

لم تكن تبدى خضوعاً أو انكساراً أمام السلطة، واستجد وقتها تغيير آخر ألا وهو منح جيهان السادات لقب «السيدة الأولى» فى تقليد لم تعرفه مصر من قبل، ومع تصدر جيهان السادات المشهد، لم يعد مسموحاً أن تظهر أم كلثوم كأهم سيدة فى مصر، كما هو معتاد.

ورغم ذلك، لم يستطع نظام السادات الاحتكاك بقوة أو علناً مع أم كلثوم، بفضل شعبيتها الطاغية ومكانتها واقتصر الأمر على المضايقات ومحاولات تقليل نفوذها، من خلال منع بث أغانيها أو تلميع مطربات أخريات، وكانت هذه المحاولات فى الغالب مصدرها زوجة الرئيس وليس الرئيس نفسه، بحسب ما يذكره حنفى المحلاوي.

سعاد حسني: من النجومية إلى العزلة

أيقونة الجمال والفن فى الستينيات والسبعينيات. اختفت سعاد حسنى فجأة بعد فيلم «الراعى والنساء»؛ لأسباب لم تكن فنية، بل سياسية واجتماعية، إذ همّشت لعدم انتمائها إلى شبكة المصالح فى عهد مبارك. عانت من الاكتئاب والمرض، وانتقلت إلى لندن، حيث عاشت فى عزلة. ظهرت تسريبات عن نيتها كشف تجاوزات فى الإعلام والأمن، وارتبط اسم صفوت الشريف ببعض الروايات التى ألمحت إلى علاقة بين وفاتها وغموض رحيلها.

شيريهان: من وهج الثورة إلى الصمت

برزت شيريهان كأيقونة فنية فى الثمانينات والتسعينات، قبل أن تتحول إلى رمز للثورة بمشاركتها فى مظاهرات يناير ٢٠١١، وهتافها بسقوط النظام. سبق ذلك حادث غامض فى التسعينات كاد يودى بحياتها، رُبط بعلاقتها المتوترة مع أسرة مبارك، وتحديدًا سوزان مبارك؛ بسبب رفضها الخضوع للضغوط السياسية والاجتماعية. ابتعدت عن الفن بعد الحادث، ثم عادت لاحقًا بهدوء، وقد رسّخت صورتها كفنانة دفعت ثمن مواقفها الشخصية والسياسية من صحتها وحياتها.

إيمان الطوخي: ضحية الشائعات والتجاهل

جمعت بين التمثيل والغناء، وبلغت أوج نضجها الفنى فى أواخر التسعينيات. لكن اعتزالها المفاجئ عام ٢٠٠٢ فسر بوجود علاقة عاطفية مزعومة بمبارك، رغم عدم ثبوت هذه الإدعاءات. تعرضت لتهميش إعلامي، واختفت من المشهد دون تكريم أو اهتمام بأعمالها.

محمد فوزي: فنان خذلته الثورة

كان محمد فوزى من أبرز داعمى حركة ١٩٥٢، لكن تأميم شركته «مصر فون» عام ١٩٦١ شكّل نقطة تحول مأساوية فى حياته، إذ همّش إعلاميًا وفنيًا، رغم وطنيته، فى حين استُثنيت شركات فنانين مقربين من النظام. بعد هزيمة ١٩٦٧، لم يجد النظام أغنية وطنية واحدة تصلح للإذاعة؛ لأن كلها تمجد فى عبد الناصر، ما عدا أغنية فوزى «بلدى أحببتك يا بلدي» كانت الوحيدة التى لم تتغن بالزعيم، وإنما تغنت بالوطن. عانى فوزى من الاكتئاب وسرطان العظام، وتوفى دون علاج مناسب، فى نهاية تجسد قسوة التهميش السياسى لفنان خرج عن مظلة السلطة.

سعيد صالح.. نزيل السجون

خاض الكو ميديان سعيد صالح تجربة السجون المصرية عام ١٩٨٣م؛ بسبب إسقاط سياسى أثناء عرضٍ «لعبة اسمها الفلوس»، بعد أن خرج عن النص قائلًا: «أمى اتجوزت ٣ مرات؛ الأول أكلنا المش، والتانى علمنا الغِش، والتالت لا بيهش ولا بينش»، وإعتبرت إسقاطا على ناصر والسادات ومبارك. فأوقف على ذمة التحقيق لمدة ١٧ يومًا، ثم أفرج عنه، وتمت ملاحقته بعد ذلك فصار نزيل السجن عدة مرات بتهمة تعاطى الحشيش.

إيمان النقادي

الفنان المصرى لم يكن مجرد ممثل على خشبة المسرح بل كان صوتا يتحدى قسوة القمع

فن المقاومة فى مصر ليس مجرد شعار بل فعل متجذر فى نسيج الثقافة الشعبية

ليلى مراد كانت من أوائل الداعين لمقاطعة المنتجات البريطانية وقدّمت أغنية "دور يا موتور" دعمًا للفدائيين

سافرت لطفى إلى بيروت عام ١٩٨٢ أثناء الحصار الإسرائيلي متحدية الخطر لتوثّق بكاميرتها بطولات المقاومة الفلسطينية

لم يكن الإبداع مجرد وسيلة للترفيه بل شكّل عبر العقود أداة فاعلة للتعبير عن الهموم الوطنية ومقاومة الاستبداد